

# تجربتي الشعرية

بأقلام كبار ممثلي الشعر العربي الحديث

طلبت (( الاداب )) من كبار ممثلي الشعر الحر ان يحدثوا قراءها عن تجربتهم الشعرية ، فاستجاب عدد منهم وتخلف اخر من غير ابداء للسبب . وقد وعد الدكتور خايل حاوي بالكتابة عن تجربته في عدد قادم . ونشر فيما يلي أجوبة الشعراء مرتبة حسب الحروف الابجدية .

واحد او كثير ، ضمن بناء واحد . لكن الشكل الايقاعي وحده لا يجعل بالضرورة ، من القصيدة اثرا شعريا . فلا يد من توفر شيء اخر أسميه البعد ، أي الرؤيا التي تنقل الينا عبر جسد القصيدة او مادتها او شكلها الايقاعي . القصائد ، كشكل ايقاعي لا غير ، ليست شعراء بل مصنوعات شعرية . اذ ليس الشعر علما ينميه ويطوره ، شيئا فشيئا ، بحثا عن علماء . ليس مجموعة من القوانين والقواعد والاشكال والانظمة .

(( الشعر هو الكلام الموزون المفى )) عبارة تشوه الحساسية الشعرية العربية وتشوه الحياة والرؤيا . فهي العلامة والشاهد على الحدودية والانفلاق . وهي ، الى ذلك ، حكم يناقض الطبيعة الشعرية العربية ذاتها . فهذه الطبيعة عفوية ، فطرية ، انشاقية . وذلك حكم عقلي ، اصطناعي ، منطقي .

النتاج الذي كتب او يكتب ، ايمانا بهذا الحكم وخضوعا له ، ليس شعرا ، وحق الشعر علينا هو ان نسقطه من ديوان العرب . هذا ما افعله في (( ديوان الشعر العربي )) ، محاولا ان أظهر البعد الشعري العربي الاصيل الذي طمسه النقد ، وان أعيد الى الحساسية الشعرية العربية مكانتها الفريدة في التعبير عن الانسان والعالم .

- ٣ -

كان معظم نقادنا القدامى يرون الشكل الشعري وجودا ثابتا مسنقلا ، قائما بنفسه . بهذا حولوا الشعر الى صناعة ، فاصلين بين الدال والمدلول : الشكل هناك مستقل ، والموضوع هناك مستقل ، ويقتصر عمل الشاعر على التوفيق بينهما . ويقدر ما يكون صناعا بارعا في هذا التوفيق يكون شاعرا . وهم يطبقون ، هنا ، على الشعر نظرية المثل لافلاطون وسقراط من قبله ، القائلة ان المدلول ، أي الفكرة او المثال ، موجود بحسد ذاته ، دون حاجة الى الدال ، أي خارج الشكل الدال وفي غنى عنه .

وهذا ، في الشعر والفن عامة ، فصل مصطنع . فالدال والمدلول الشكل والموضوع ، في الشعر ، يولدان معا . بمعنى اخر ، لا موضوع في الشعر ، بل تعبير وطريقة تعبير ، ولا حقائق مستقلة بذاتها ، بل رؤى ووجهات نظر .

طبيعي اذن الا تكون هناك قاعدة صالحة الى الابد . لذلك ، ليس امتياز الشعر في انه يخضع لقاعدة ثابتة ، وينظم الطاقة ، شأن العلم ، بل امتيازه في انه يسبق القاعدة ، ويحرر الطاقة ويفجرها ويضيئها .

لا يعني هذا التأكيد ان شعرنا اليوم هو ، بالضرورة ، خير منه في الماضي ، انما يعني ان من الطبيعي ونحن في مرحلة حضارية تباين مرحلة اسلافنا ، ان تكون لنا ، ان كنا احياء بالفعل ، طريقة تعبير خاصة ، واشكال شعرية خاصة .

تجاوز الفن المسيحي الفن الروماني ، ورفض عصر النهضة



خواطر حول

تجربتي الشعرية

بقلم :

ادونيس

- ١ -

كيف (( يستطيع شاعر يبحث ويتخطى ، ان يكتب عن تجربته الشعرية ؟ كيف يقدر ان يعاني هذه التجربة - الحركة ويرافقها في آن واحد ؟ واني له ان يصف هذا الرحيل الدائم في المجهول ؟ وهل يصح لشاعر ان يتحدث عن تجربته الشعرية ، قبل ان يجيب عن سؤال يعرف انه لا يجاب عنه : (( ما هو الشعر ؟ ))

- ٢ -

ليس هناك وجود قائم بذاته ، جوهر ثابت مطلق نسيمه الشعر ، ونستمد منه المفايس والقيم الشعرية الثابتة المطلقة . ليست هناك ، بالنالي ، خصائص وقواعد ثابتة مطلقة تحدد الشعر ، ماهية وشكلا ، تحديدا ثابتا مطلقا .

الموجود الحقيقي هو الشاعر ، هو القصيدة : وفي تعاقب القصائد واكمال بعضها البعض الاخر ، ما يغير فهم الشعر او النظر اليه . فالشعر أفق مفتوح . وكل شاعر مبدع يزيد في اتساع هذا الافق ، اذ يضيف اليه مسافة جديدة . وكل ابداع هو ، في آن ، ينبوع واعداد نظر : اعادة نظر في الماضي وينبوع تقييم جديد .

واذا كنا نعني بالشعر ، الشعراء وقصائدهم ، فان ادراك معنى القصيدة اساس اول في ادراك معنى الشعر . والقصيدة شكل ايقاعي

\* يشكل قسم كبير من مادة هذه الخواطر محاضرة ألقى في عمان والقدس خلال الاسبوع الاخير من كانون الاول ١٩٦٥ ، بدعوة من وزارة الاعلام الاردنية ، ضمن موسيما الثقافي ١٩٦٥ - ١٩٦٦ .

الاساليب الفوطية ، والعصر الحديث أساليب عصر النهضة . كذلك في شعرا العربي : لم يكن عمر بن ابي ربيعة كما كتب امرؤ القيس ولم ينع ابو تمام اسلوب النابغة ، ولا المنبي اسلوب زهير . فلا يقلد الشاعر ، ان كان التقليد ضروريا ، اسلافه ، وانما يقلد القوة الحية التي تحرك العالم ، والتي حاكها هؤلاء الاسلاف ويحاكيها كل خلاق .

الذين يحتاجون باوزان الخليل ، ذلك الاصولي الكبير ، لا يفهمون معناها ودلالاتها . فهو لم يقصد بوضعها ان تكون قاعدة المستقبل ، وانما وضعها لكي يؤرخ بها الايقاعات الشعرية المعروفة حتى أيامه . وكان عمله عظيما اذ حفظ لنا تلك الايقاعات ونظمها في صيغ واوزان . لكن الايقاع كالكلمة ، كالانسان ، يتجدد ، وليس هناك أي مانع شعري او نرامي من أن تنشأ اوزان وايقاعات جديدة في شعرا العربي . ثم ان الوزن الحليلي لا يؤلف الشكل الشعري العربي كله ، وانما يؤلف جزءا منه . وليس الشكل الشعري خبرة علمية تصاف بالضرورة الى الجبريات اللاحقة وتشكل معها كلا واحدا ، وليس جهازا خالصا ، او قالبا صناعيا ، تتناوله وتوارثه . الشكل الشعري كالمضمون الشعري يولد ولا يتبنى ، يخلق ولا يكتسب ، يجدد ولا يورث . حين يكرر شاعر شكلا كان في زمن غير زمنه ، لمشاعر غير مشاعره ، وحياة غير حياته ، لا يكون شاعرا ، يكون صناعا . الشكل الشعري حركة وتغيير : ولادة مستمرة . الشكل الشعري الحي هو الذي يظل في شكل دائم .

— ٤ —

ما نسميه ، اليوم ، شعرا جديدا ليس كله جديدا . فالشكل غير القديم لا يعني ، بالضرورة ، انه جديد . ثمة شكل جديد ، ظاهريا ، يحمل نفسا قديما . وثمة شكل قديم ، ظاهريا ، يحمل نفسا جديدا . فالفرق بين القديم والجديد لا يلتمسه ، بالضرورة ، في الشكل ، بل في الروح ، في الحضور الشعري الشخصي الجديد الاصيل ، نصيرا ورؤيا .

وكل اثر شعري جديد حقا يكشف عن امرين مترابطين : شيء جديد يقال ، وطريقة قول جديدة . فكل ابداع يتضمن نقدا - للماضي ، الذي تجاوزه ، وللحاضر الذي نغيره وبنينه . وعلامة الجودة في الاثر الشعري هي طاقته المفيرة التي تتجلى في مدى الفروقات ومدى الاضافة : في مدى اختلافه عن الانار الماضية ، وفي مدى اغناؤه الحاضر والمستقبل .

وكل ابداع هو ابداع عالم ، فالشاعر الحق هو الذي يقدم لنا في شعره عالما شخصيا خاصا ، لا مجموعة انطباعات وزينيات . اذن ، كل ابداع يتجاوز ويغير .

حين ندرك هذا لا يعود صعبا ان نميز بين الجديد والمزعوم جديدا ، بين الجودة والموضة ، بين الابداع والبدعة . الموضة او البدعة هي الهوس بالآني الحاضر العابر ، هي هاجس الطرافة للطرافة ، هي التعلق بالجديد لانه جديد وحسب ، وليس في هذا اصالة ولا فن .

وكثيرا ما يتداخل الابداع والبدعة . فالموضة ترافق الجودة دائما . لكن البدعة زيد عابر ، والابداع نهر عميق يساق . وفي حين تكون البدعة موجة ، يكون الابداع الحركة والعمق . فالبدعة آتية والابداع نبوة ، والازياء تعكس موج الحياة ، أما النبوة فتعكس اغوارها . واليوم ، تحاول قوى الموضة ، أي قوى البدعة والسرعة والسهولة ان تجرف حياتنا العربية وتطبعها بطابعها . وهم تبدو نتائج هذه المحاولة سلبية قانلة ، خصوصا في مجتمع تسيطر عليه التقاليد وذهنية الماضي . فهي تقيمه ، من الناحية الروحية ، رهين شكل من التفكير مستنفذ عاجز ، وهي تقمره ، من الناحية الحياتية ، بشكل من الحياة لم يشارك فكره في ابداعه . هكذا يحدث الانفصال بين معنى الحياة وصورتها ، وتزداد التناقضات حدة وعمقا .

ولعل الهوة بين العالم الحديث الذي نشيناه طريقة حياة ،

والقيم الفكرية القديمة التي نتمسك بها طريقة تفكير ، هي من أعمق الامارات على مأساة من أعمق مآسينا الحضارية العربية الراهنة : ان جسدا يعيش في عالم حديث ، وفكرنا يعيش في عالم قديم . ولئن قبل الجمهور بهذا الواقع الجزئي الجزأ ، فان الشاعر يرفضه . . . من اجل ان يعيد اليه الوحدة ، من اجل ان نتجاوز التناقض ويصير شكل حياتنا مقولة فكرنا وصورته .

لهذا ، ليست الموضة وحدها عدوة الابداع والتجديد ، وانما تناصرها كذلك ، عادة التشبث بالقيم الماضية المستنفدة ، العاده التي تؤدي الى السهولة والتكرار والآلية والرتابة وضمور الوعي وانعدام الدهشة ، العادة التي تنكر الزمن وتنكر التغيير . هنا يكمن الفرق بين المجتمعات والثقافات : المجتمعات الحية الثقافة تتطلب من الشاعر ، والكاتب عامة ، ان يكون له صوته الخاص ، ان يكون فريدا ، أصيلا . أما المجتمعات الميتة الثقافة فتتنكر للاتصال وترفض كل شاعر يتميز بلغة اصيلة جديدة ، ودفعة روحية جديدة . وهي تريد من الكتابة ان تكون صناعة يعرفها الجميع ، ويفهمها الجميع ، ويسر بها الجميع . وتطلب ان يكون الشعر والفن احدى المنافع العامة . وهي ، على الرغم من انها تتبنى ما يرد عليها من اشكال الحياة الجديدة ، تتردد في تجديد فكرها او بقاومته ، وربما رفضته .

ان حياتنا العربية اليوم حب يدعونا لكي نخلفه من جديد . كذلك شعرا .

— ٥ —

ان اكتب قصيدة لا يعني انني امارس نوعا من الكتابة ، وانما يعني انني احيي العالم الى شعر : اخلق له ، فيما اتمثل صورته القديمة ، صورة جديدة . فالقصيدة حدث او مجيء ، والشعر تأسيس ، باللفة والرؤيا ، تأسيس عالم واتجاه لا عهد لنا بهما ، من قبل . انه كشف وفتح . وكل ابداع يتجاوز ، لهذا كان الشعر تخليا يدفع الى التخطي . وهو ، اذن ، طاقة لا تغير الحياة وحسب ، وانما تزيد ، الى ذلك ، في نموها وغناها وفي دفعها الى الامام والى اعلى .

من هنا ، كان الشعر اعمق انهماكات الانسان واكثرها اصالة ، لانه اكثرها مجانية وبراءة وفطرية والنصافا بدخائل النفس . ومن هنا ، كان الشعر وسيلة حوار اولي بين الانا والآخر ، ووسيلة اتصال اولي . فهو ، لتجذره في اعماق الانسان ، ومجانيته ، فعال وملزم . انه حميا نسري في الانسان وتسري ، من ثم ، عبر سلوكه ومواقفه وافكاره ومشاعره ، في الحياة والواقع .

واذا كان الابداع يتجاوز ، فهو يتضمن اختيارا ، لان من يبدع يتخلى عن شيء ليتبنى آخر غيره . لكن هذا التخلي لا يعني الرفض بقدر ما يعني البحث عن قبول جديد . فالرفض هنا مرتبط بالقبول : انهما وجهان لحقيقة واحدة . لهذا يمكن القول ان البحث عن قبول جديد ، هو من اعمق مميزات الحركة الشعرية العربية الجديدة ، حتى ليتمكن القول بالتالي : ليس هناك شعر عربي جديد الا حيث البحث والتخطي ، حيث التحول في اعماق الانسان وفي الحياة والواقع . ومن هنا نفهم كيف ان القديم يجب ان يكون في خدمة الجديد . وحيث تنعكس هذه الحقيقة او تنتفي يكون الانحطاط والتخلف .

في هذا ما يوصلنا الى القول انه لا يصح تقييم الابداع الشعري الجديد ، بمقاييسه مع الماضي او مقارنته به ، بل يجب ان نقيمه استنادا الى حضوره ذاته - الى حضور القصيدة بكيانها الخاص ونظامها الداخلي الخاص . فكل ابداع يرق خاص لا يتكرر ، انبجاس مفاجيء قائم بذاته ، ينظر اليه في حدود ذاته .

وفي هذا ما يتيح القول ان الشعر اصل ، وليس ظاهرة ثقافية كبقية الظواهر . انه روح الانسان ، روح الشعب ، وهو ، من هذه الشرفة ، روح تاريخه . ولا اعني بالتاريخ ، هنا ، الوقائع والاحداث ، بل اعني ما نسميه رسالة الشعب او الامة . لهذا كان الشعر اسمى اشكال التعبير الانساني ، وشكلا ساميا من اشكال الوجود . يعلمنا

— التتمة على الصفحة ١٩٥ —

## تجربتي الشعرية



بقلم عبد الوهاب البياتي

قال محتوي لعاشق : ايها الفسى انت قد رايت في غريبك  
مدى كثره فحبرني : ايه مدينته من ههذه اطيب ، . .  
فاجاب : بلك المدينه التي فيها من اخطف لملي  
من مصيده « مدينة السلق »  
لجلال الدين الرومي



لست اريد ان اضح صريحا للشعر ، ولست اهدف الى تحديد  
مكان الشعر من العالم ولا مكانه من عصرنا ، وانما الشيء الذي اريده  
هنا ، هو تحديد مكانه من نفسي ! فحينما بدأت اعالج الكلمة ، احاول  
بها ان اعبر عن انفعالي بالعالم ، لم يكن الشعر هو اول ما حاولته من  
اشكال الكتابه . لقد كتبت القصه القصيره وكثيرا من الحواريات  
القصيره والقصائد ايضا . ولكن شيئا ما كان يلح في طلب التعبير  
عنه ، شيئا كان يجول بنفسي ، ولد حينما بدأت - للمرة الاولى -  
اقامتي في بغداد .

كنت فادما من الريف ، حيث عشت فيه ، وعاندا اليه وقادما  
منه ، حتى عام ١٩٤٤ وهو عام دخولي دار المعلمين العليا ، وكانت  
الصدمة الاولى حينما اكتشفت حقيقه المدينة . كانت مدينة مزيفة ،  
فامت بالصدفة وفرضت علينا ، لم تكن تملك من حقيقه المدينة اكثر  
من تشبهها الشديد ببهلوان او مهرج يلصق في ملابسه كل لون او اية  
قطعة يصادفها ، اما اعماق المدينة الحقيقية التي عاشت فرونا عديدة  
على ضفاف « دجلة » وولدت وعاصرت حضارات عظيمة ، فقد شعرت  
بانها ماتت واختفت الى الابد . ولم اكن ارجو لها العودة ، وانما  
رجوت لها امتدادا كامددا النهر الذي ينبع ويجري الى البحر الكبير  
يعانقه ويفوق فيه . ومن هنا كانت الثورة على المدينة رفضا لشكلها  
القائم ، ولم يكن رفضا عاطفيا وانما كان بذرة لتمرد هو الذي ولد  
الشورة .

ومثل مدينتنا الشبيهة بالمهرج ، كان جيلنا المتسول الذي استعمر  
ثيابا وازياء من كل عصر حتى فقد شخصيته وصوته الحقيقي . لم  
يكن هناك ارتباط بين دراستنا واحتياجنا الروحية والمادية ، وقد  
ولد هذا الانقسام شعورا بالتناقض بين الفكر السائد وبين الواقع  
القائم امامنا . ولم يكن هذا الشعور قائما من الفراغ ، وانما قام على  
شعور طبقي سابق وحاد ، ولكن هذا الشعور لم يكن حقدا ، وانما كان  
احساسا بفقدان العدالة وانقلاب الاوضاع ، الشيء الذي يتطلب عملا  
فرديا قائما على الحقد . كنا بحاجة الى شمعة نلتهب لتحرق هذا  
الواقع وتطوره ، ولكنني لم اكن قد تبينت بعد كيف تلهب هذه الشمعة ،  
ولا صورة المستقبل بعدها ، لذلك كنت الجأ محموما ، ملتعب الحواس  
الى كتب التاريخ التمهه لعلني اجد فيها مهريا من الواقع المردي .

وفي نفس هذه الفترة تمتع جيلنا بفرصة اوسع من حرية النشر  
نتيجة للحرب التي كانت قائمة ضد الفاشية ، وتفتحت امامنا ابواب  
ثقافات عديدة ، التقت عقولنا باعمالها الثورية والاكثر انسانية وقدرة  
على مواجهة مشاكل الانسان وطرح حلولها . لقد عرفنا غوركي واسلافه

من الكتاب الروس الكلاسيكيين العظيم ( تولستوي ، تشيخوف ،  
ديستوفسكي بشكل خاص ) كما عرفنا عددا من ادباء الغرب ، وانني  
لاذكر كيف الهبت مشاعري في ذلك الوقت كتابات اودن واشمساره  
بفنائيتها الواقعية التي سبقت ايليوت الينا . ولم يكن ادباء التعبير  
عن الازمة هم من عرفناهم وحدهم ، ولكننا عرفنا بيرون وشيلي وكيس  
ويودلير ورامبو وفدور هيجو ، وهكذا عرفنا انواعا متعددة من الابداع  
الفني وبعطينا مرحلة السار بماجدولين وغيرهما من اعمال الادب  
الرومانسي .

ولم يستطع واحد من شعراء هذه الفترة من العرب ان يلفت  
نظرنا ، فحسب جبران تصوره كاهنا عجوزا يلبس مسوحا سوداء ويذرف  
الدموع امام جنته ميتة . كان ادبهم ثورة عاطفية رومانسية اكثر منه  
تعبيرا عن ولادة الجيل الجديد من خلال الازمة وسنوات العذاب . .  
عبر كل هذه القراءات والعلاقات وملامسة الواقع الحي والاحتكاك  
به ، ومن خلال الصحبة الازلية مع بدر شاكر السياب وبلند الحيدري  
وعبد الملك نوري وغيرهم ، بدأت مشاعرنا تجد لها متنفسا ، وبدأت  
تنبور قيم معينه عن الادب والفن والحياة بوجه عام .

في هذه الفترة وقبلها بقليل كنت كمن يبحث عن الشكل الملائم  
للتعبير عن نفسه . . واكتشفت ان التعبير الشعري اقرب الي من اي  
شكل اخر . كان هذا الشكل اقدر على التعبير عما كان يجيش بصدري  
من قلق ومشاعر اكثر مما يتفاعل في عقلي من افكار . كما كان تكويني  
النفسى من اساسه : الرؤية الشاملة للاشياء والنفاذ الى جوهر  
الاشياء الصغيرة التي هي مادة الشعر وينبوعه . وهكذا كان الشعر  
اكثر ملائمة لحركة نفسي الداخلية واقرب الى رغبتني في ضغط الافكار  
والاحاسيس وتجسيدها . كذلك كانت قراءاتي الاولى التي فرضتها  
علي مكتبة جدي - وهو رجل دين - الفنية بكل دواوين الاقدمين التي  
كنت قد قرأتها فراءة مؤلمة ممذبة لانها كانت قراءة البحث عن شيء  
مفقود احسه ولا اعيه ، فكان ان نجوت من الوقوع فريسة في شرك  
ناثيرها الكلي . اما اغاني القرية التي تركت في نفسي اثرا لا ينسى  
فقد كانت متطابقة مع احساسني بشعر الحياة نفسها المتجسد في  
الناس والبيوت والطبيعة وحزن الكائنات الابدي والظلال الهاربة للحياة  
التي تجدد نفسها في تعاقب الفصول .

لكل هذا لم يكن غير الشعر قادرا على اشباع رغبتني في التعبير  
بالكلمة ! وانني وان كنت لا اؤمن بإمكانية ان يولد الشاعر وفي يده  
القيشارة ، وانما يمكن ان يولد من قلب ذلك الانسان الذي لا ينسجم  
التوافق بين عالمه الداخلي والعالم الخارجي من حوله . ان التناقض  
الذي يمكن ان يقوم حينئذ يولد عددا من الاحاسيس غير المصنوعة  
وغير القابلة للتعبير . وفي اللحظة التي يكتشف فيها الانسان تناقضه  
مع العالم الخارجي يبدأ في التمرد عليه . ومثلما يبحث النهر الدفين  
عن المكان المناسب الذي يمكن ان ينبع منه ، يبدأ الشاعر الموعود في  
محاولة اكتشاف نفسه . ان المهم هنا ، انما هو نقطة البداية . ان  
البدء في محاولة فهم العالم ومحاولة تغييره ودفعه الى خارج نطاق  
النصائح والتعاليم والتربية ، ومحاولة التمرد عليها ومناقشتها ،  
وخلق نوع من الحوار الصامت حولها ، كل هذا يلعب دورا في صنع  
عالم الشاعر القادم .

لقد بدأت معرفتي بالعالم في الحي الذي نشأت فيه بفسداد  
بالقرب من مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني وخريجه وهو احد كبار  
التصوفة . كان الحي يمضج بالفقراء والمجذوبين والباعة والعمسال  
والمهاجرين من الريف والبورجوازيين الصغار . كانت هذه المعرفة  
هي مصدر الي الكبير الاول .

ثم بدأ تعاملني مع الكتب ومع القراءة . وكمسافر في فطار  
لا يعرف المدينة التي سيهبط فيها ، لم اتوقف عند كتاب معين او نوع  
واحد من الثقافة ، كان كل كتاب هو بعينه المدينة التي لا اقصدها .  
كانت هناك محطات صغيرة اعتقد ان وراءها بارقا من أمل ، ثم اكتشفها  
سرابا لا يروي ظمأ ، وهكذا كنت ، وما ازال ، مسافرا بلا عودة ، تتجدد

افكاري على الدوام . كان التاريخ هو النوع الذي احبه من القراءة ، ولم أفرأه كركام من الوقائع او الاحداث ، وانما كتجربة انسانية واسعة ومتعددة الجنبات ، وكتجسيد لقضايا الانسان التي طرحت على كل المجتمعات الانسانية الماضية . كذلك كانت الآثار واللقى التي ذابت صورها في نفسي ، البقية الباقية على سطح هذا الكوكب من كل هذه التجارب التي خاضها الانسان واختفى كما تختفي اشباح الليل . حينما كنت افق امام كوب قديم او قطعة عملة اثرية او تصوير باهت الالوان ، كان يجتاحني احساس من انعدام الصلة بالعالم الخارجي ، وأروح افتش عن هذه الآثار في نفسي ، ماذا بقي منها لدي ؟ كل هذه الاشياء القديمة تركها اصحابها ومضوا ، كانت هي الصورة الحية لعمق الزمن ، والشئ الوحيد الباقي من حياة الناس الذين عاشوا في زمن ما ، ان الفن وحده ، عصاره تجربة الانسان ، هو ما يتركه الناس بعد حياتهم .

وفي نهاية الاربعينات وقفت طويلا عند الادب الواقعي . كانت رواية « الام » لفوركي هي اول عمل اجتذبتني عندما اكتشفت انه كتاب لم ينقل عن الكتب ، وانما عبر عن حياة الناس وتجاربهم . ثم وقفت طويلا مرة اخرى امام الادب الوجودي ، وبالذات امام كامي وسارتر . كان الاصرار على الحرية ، وتجسيد صورة الثورة المستمرة من جانب الانسان ورفض التفاهة والسطحية والجانية واللامبالاة ، كانت هذه الاشياء هي ما استوففتني عند الواقعيين والوجوديين ، احسست انهم يعوزون بالادب الى ذلك الفهم الانساني الشامل لكل ادب عظيم منذ الاغريق والصرب القدماء ، العودة بالكلمة ، من اجل منحها معناها الحقيقي من خلال حياة الناس وتجاربهم الحقيقية . ومن هنا كان عثوري على كثير من الاجوبة لاسئلة لم اكن اجد لها جوابا .

ولكن الشعر نفسه لم يكن غريبا علي منذ البداية ، ولا يمكن لشاعر ان يكون غريبا عن الشعر ، شعر الحياة وشعر الشعراء الاخرين . كانت اغاني الفلاحين والحكايات الشعبية المنتشرة في الريف هي زادي الشعري الاول . وكان طرفه بن العبد وابو نواس والمصري والتمببي والشريف الرضي هم اكبر من اثر في من الشعراء العرب . لقد وجدت فيهم نوعا من التمرد على القيم السائدة ، والبحث عن اشياء لا يوفرها واقعهم او مجتمعهم او ثقافتهم . لقد عانى هؤلاء محنة الوجود الحقيقية ، وعبروا عن انفسهم باصواتهم الذاتية لا باصوات غيرهم . ورغم هذا فقد اتناهي ازاءهم نوع من القلق حينما تبينت ان لغتهم كانت لفة مصنوعة ، كانت الاشياء التي يصفونها موجودة قبل وجودهم وان كلماتهم كانت تفقد حضورها في نفسي وتتحول الى دلالات فقدت عندهم الكثير من اصلتها ، وانهم انطافوا على اسوار عمرهم عاجزين عن تخطي رؤياه وامكانياته . لقد كان الشكل الذي امدتهم به ثقافتهم الشعرية وتراثهم الشعري شكلا مصبوبا مستقفا خلفته رؤى واحتياجات ومفاهيم وجدانية وفكرية وموسيقية معينة . وفي نفس الوقت الذي فتنتني فيه قدرتهم على تخطي واقفهم الاجتماعي والتعبير عن شحنتهم الوجدانية المتوقدة ، احسست بان الشكل الذي لم يستطيعوا تجاوزه كان قيادا على رؤاهم وعواطفهم المتمردة . كان قيادا على رؤاهم ، كما تصورتها ، انا منعكسة على صفحة نفسي ، التي هي جزء من عالم مختلف وعصر متجدد . كما دفعني فهمي لموسيقى الشعر المرتبطة بنوعية ومدى التجربة الشعرية ، الى البحث عن ايقاع موسيقي خارجي يتسق مع ايقاع التجربة الجديدة ، تجربة تقويض ابناء قديمة واختيار اثنان ما فيها لتشييد بناء جديد لحمته واكثر سداه ينعكس من واقع اجتماعي وفكري ووجداني مختلف . كان لا بد وان تختفي هذه الثنائية الكامنة في القصيدة الكلاسيكية الحديثة حتى تصبح موسيقى الشعر جزءا عضويا مكملا للتجربة الشعرية نفسها وبعدها ثالثا يحمل نفس ملامح ايقاعها النفسي واساسها الفكري والوجداني . ومن الشعراء الذين قرأتهم باهتمام بالغ : الجامي وجلال الدين الرومي وفريد الدين العطار والخيام وطاغور . لقد عاني هؤلاء محنة استبطان العالم ومحاولة الكشف عن حقائقه الكلية

من خلال تجربة التصوف المتمتجة بالرؤية الشعرية النافذة . ثم كان هناك شعراء معاصرون ومحدثون : اودن ونيرودا واراغون وايلوار وناظم حكمت ولوركا وماياكوفسكي . لقد استوففتني اشعار هؤلاء ، ليس لانهم مشهورون ، فقد سقط من حسابي شعراء مشهورون كثيرون ، وانما لان اشعارهم ، بجانب انها اشعار تحمل جوهر الشعر الحقيقي ، تحمل قدرة النفاذ من خلال الموسيقى والصورة والرؤية الى وجدان الانسان المعاصر ، لانها تنبع - بابعادها هذه الثلاثة - من تصور نفس هذا الانسان المعاصر لذاته ولواقعه ، الا انها تحتوي على نوع من الالتزام الواعي الحي النابع من داخل نفوسهم . ووجدت في اشعارهم كل خصائص بلادهم وقسماتها التي تصل بهم الى التصور الانساني الكامل ، خصائص الانسان الحي في تشييلي او اسبانيا ، اشكال حياة الانسان في نضالاته وهزائمه وحبه ، ومن خلال هذه الجزئيات استطلعت ان تصور النظرة الشمولية في شعرهم ، هذه الشمولية التي هي تقيض للسكونية التي قد نجدها في اشعار شاعر كبير مثل ايليو الذي ينعدم في شعره الاحساس بالصراع والجدلية . وكان اختياري لهم في نفس الوقت بمثابة دفاع عن قضية الالتزام في الشعر العربي بطريقة غير مباشرة ، عن طريق تجسيد كيف يمكن ان يكون الشاعر ملتزما وعظيما في نفس الوقت والتأكيد على اهمية فنية التجربة وجمالياتها .

وعندما غمر النور الواقع الانساني امام عيني مع بداية الخمسينات كانت الصورة التي ارتسمت امامي صورة واقع محطم يخيم فيه اليأس على كل شئ . وهكذا كانت اشعاري الاولى محاولة لتصوير هذا الدمار الشامل والعقم الذي كان يسود الاشياء . لم اكن احاول البحث عن السبب الكامن وراء هذا العقم ، ولكنني اكتفيت بتصويره . وعندما تجاوزت مرحلة التصوير ، لم يكن ذلك مرتبطا بالتصور على مجرد اجتماعي للتمرد ، بل كان مرتبطا بالقضية الميتافيزيقية ، حتى لقد كان المفهوم الميتافيزيقي لرفض الواقع والتمرد عليه - دون الثورة - هو بداية الالتزام .

كان البحث عن الشكل الشعري الذي لم اجد في شعرنا القديم ، وكان التمرد الميتافيزيقي على الواقع جملة ، دون وضع بديل له ، والاشواق التي لا حصر لها ، والتطلع الى عالم تسقط فيه كل الاسوار بعيدا عن السمعات التي استهلكت ، كان هذا البحث هو ما أدى الى اكتشاف الواقع المزري الذي تعيشه الجماهير والى اكتشاف رؤسها المزعج . وهنا كان لا بد من ضمور البعث الميتافيزيقي في نفسي ونمو الدافع الاجتماعي والسياسي ، وكان هذا النمو انعكاسا وتفاعلا مع ما حدث في المجتمع العربي ذاته من تحول الى الثورة الايجابية نفسها . كنت أشعر في ذلك الوقت بانني اكتب مدامقا عن الحرية والعدالة للجماهير البائسة لا لنفسي . كنت افهم الالتزام : على ان الفنان مطالب من اعماق اعماقه ان يحترق مع الاخرين عندما يراهم يحترقون . اما الوقوف على الضفة الاخرى والاستغراق في الصلاة الكهنوتية فليس هذا من صفات الفنان الحقيقي في أي عصر من العصور .

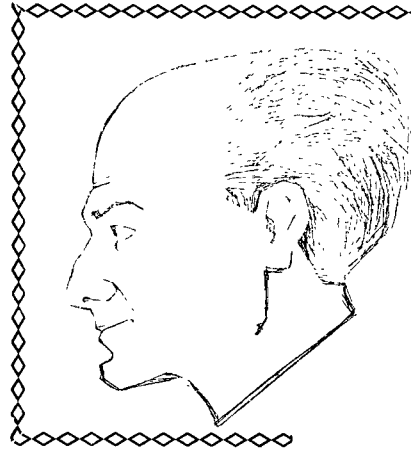
لقد غمرت الرؤية المتمردة كل المواضيع الشعرية التي كتبت فيها . فالوت المجاني الذي يضرب ضحيته دونما سبب مفهوم ، ذلك الموت الذي كان اشد ما يكون بروزا في « اباريق مهشمة » هكذا الموت ، كان لا بد من فهمه وكان فهمه هو التمرد عليه . وفي « المجد للاطفال والزيتون » و « اشعار في المنفى » و « عشرون قصيدة من برلين » و « كلمات لا تموت » كان هناك الموت من اجل الحرية ، أي ان الموت قد اصبح نمنا للحرية واصبحت هي نمنا له ، اما الموت بالجان فلم تعد له قيمة قط اذ انه مجرد الانسان المحكوم عليه بالموت من كل قيمة ولا تصبغ لحياته السابقة على الموت معنى ابدا . ولكن هذا الموت من اجل الحرية ، موت المناضلين الذي هو استشهاد نبيل ، لم يفصل ابدا عن الموت الانساني . اذ لم يتحول هؤلاء المناضلون

الخياطة التي كانت تدر عليه دخلا يزيد عن حاجته وحاجة زوجته الاولى التي لم تنجب ، فعرف مفامرات الريفيين حين يأخذون افضالا من مالهم وينهبون بها الى المدن القريبة يقضون فيها اياما ناعمة .. وظل هكذا حتى جاوز العقد الرابع فتزوج والدتي التي انجبت له ثمانية ابناء اذاقوه في شيخوخته شظف العيش بقدر ما اسعدوه بقاء الذرية .. وقد اورنه حلمه القديم في ان يتعلم حيا شديدا للكتب ، فكانت لديه ثروة لا بأس بها من السير الشعبية ، وبعض مؤلفات القدماء كابن المقفع ، وابن عبد ربه ، وبعض كتب الطرائف والتوارد مثل « نكست الهميان في نكت العميان » وبعض دواوين الشعراء المعاصرين كديوان حافظ الذي كان والدي يفضله على شوقي ، ومجموعات من الصحف والمجلات التي كانت تصدر قبل ربع قرن في القاهرة ..

ماذا ورتت من كل ذلك ؟  
وررت احساسا مرا بالانقطاع .. فافربائي فليلون في بلد لم يولد فيه من اصولي الا ابي .. ورتت احساسا مبكرا بالحداد حين تسافط خمسة من اخوالي موتى الواحد بعد الاخر .. ورتت تحسسا شديدا لما نطوي عليه الاشياء من طزاجة ساخنة ولذلك فالصورة الريفية الاثيرة لدي هي صورة الحقول المزدهرة الساكنة ساعة الظهيرة .. ورتت شعورا حادا بالظلم ، ولكن ضعف جانبي ، واحساسني بان هذا الظلم ليس عارضا وانما هو روح تتشكل بصور كثيرة حول تجربتي الروحية في مطلع صباي من التمرد الى التقشف ، وان ظلت طبيعتي موزعة بين تقشف صارم وانطلاق جامع .. ولعل هذا هو مصدر فتنتي الاولى باشعار الخيام الذي ربما كان تصوفه هو الحل الذي وجدته التمزق نفسه بين المنعة والتقشف .. ورتت عادة احترام الكتب ، واعجابا شديدا بأبي يصل الى حد الولاء ..

\*\*\*

كنت في الخامسة من عمري حين وضعني ابي في الماء والبسني ثيابا جديدة ودفع بي لاحفظ القرآن ، فلم تمض سنتان حتى كنت احفظ نصفه ومن ثم تنقلت بين المدارس الابتدائية لاقضي بها خمس سنوات، تقدمت بعدها لامتحان القبول في مدرسة المعلمين لاقضي بهما سبع سنوات حتى تخرجت فيها وانا في حوالي العشرين ..  
والحق انني رغم هذا لم احصل ثقافتي بطريقة منظمة .. فقد بدأت بداية مقلوبة حين قرأت وانا صغير كتب ابسي القديمة التي ساعدني على قراءتها حفظي للقرآن الكريم ، وحين كنت اقرأ بعد ذلك ما تقع عليه يدي عن طريق الاستعارة في الغالب بنهم وبدون اطمئنان .. فلقد قرأت معظم كتب عبد الرحمن بدوي قبل ان اقرأ كلمة لتوفيق الحكيم .. وقرأت كل كتب الرافي دون ان اقرأ العقاد او طه حسين الا بعد ذلك بعدة سنوات .. وقرأت معظم اشعار الرومانتيكيين عسي محمود طه ، وناجي ، ومحمود حسن اسماعيل بعد ان قرأت اشعار الجاهليين ، وقبل ان اقرأ شوقي او مطران ..  
ورغم هذه القراءة المرتبكة كان وجداني يتجه شيئا فشيئا الى الرومانتيكيين ، خاصة بعد ان دخلت تجربة الحب الاول بكل قسوتها في بلد ريفي محافظ .. تلك التجربة الرائعة التي عانيت منها خمس سنوات ، والتي ساهمت بقوة في بناء عالمي الداخلي والتي ظلت تغذي



عن تجربتي  
الشعرية ..

بقلم : احمد عبد  
المطي حجازي

لا اذكر اوائل شعري .. ولكني ما زلت اذكر ان اول قصيدة لي صحيحة الوزن كانت محاولة صغيرة لتقليد رباعيات الشاعر المتمرد عمر الخيام .. وان ثاني قصيدة كتبتها كانت في الحب ، ولم يبق منها في خيالي الا انني حاولت فيها فافية صعبة وخاصة في ذلك الوقت ، هي فافية « الناء » المفتوحة على هذا المثال « بيتا » .. وقد ظلت اكثر من شهر احاول ان اقلي بها مقطوعة من عشرة ابيات فلم يتيسر لي ذلك الا بصعوبة بالغة استعنت عليها بمختار الصحاح ، وهو المعجم الوحيد الذي كنت املكه في ذلك الوقت البعيد ، فلم يجديني الا بربع او خمس كلمات اذكر منها « نعت » و « شت » بمعنى شتيت .. وغير ذلك مما اعجزني ان اضعه في قصيدة حب رومانتيكية يكتبها عاشق في الرابعة عشرة من عمره ..

وعلى الرغم من نسياني لهذه الاشعار ، فانا ما زلت اذكر ذلك الجو الذي انطلقت منه محاولاتي الاولى ..  
كان جوا خشنا بكل ما تحمله هذه الكلمة من واقعية .. ولن اصف هذا الجو تفصيلا بالطبع ، ولكن حسبي ان اشير الى اهم عناصره التي ربما ساعدتني على تأمل تجربة اعتبرها تجربة متواضعة ..  
بلد ريفي في قلب الدلتا الخصبة .. فقير لان ميزة الخصوبة فيه تقابلها آفة كثافة السكان .. محافظ لان رزقه وان كان ضيقا الا انه مضمون ومن هنا القناعة والحاجة الى المحافظة .. متطلع لقره وقربه من المدن ، فلدى اهله حماس التعليم ابنائهم حتى يجتازوا مصيرهم المحدود ..

بلد ريفي في قلب الدلتا الخصبة .. فقير لان ميزة الخصوبة يطلبون العلم .. وفيه ابناء الاغنياء الذين لا يكملون دراستهم وينقلبون مع ذلك في نعيم آبائهم .. بلد كهذا يعرف الاراء الجريئة كما يعرف صرامة التقاليد .. يعرف نبالة الاغنياء وسخط المحرومين ..  
اما البيت .. فقد كنت فيه اكبر الابناء لرجل ميسور الحال .. كان والده الذي هاجر من شمال الدلتا بعد ان طردته والده الخديوي توفيق من ارضه - يعده بطلب العلم في الازهر ، ولكن جهده قصر بعد ان حفظ القرآن الكريم والم باطراف من الثقافة القديمة ، فتعلم حرفة

## من اجل افريقيا

تأليف فرانتز فانون - ترجمة محمد الميلي

منشورات المطبوعات الوطنية الجزائرية

وكلاء التوزيع في المشرق العربي دار الطليعة - ص.ب: ١٨١٣

وجداني بانارها حتى وقع اهم حدث في حياتي حتى الان وهو الهجرة النهائية من الريف والاستقرار في القاهرة ..  
ان وجودي كشاعر مدين لتلك السيدة الريفية الخالية البال التي ربما لم تقرا لي حرفا حتى الان ، والتي كانت تكبرني بعدة اعوام اهلنتي للزواج بينما كنت لم ازل تلميذا ..

وحين كنت ارى ان هذا الحب بلا مستقبل فلم اصرح به لاحد .. بل كتمته ليزداد اشتعالا وتوهجا وليدفعني دفعا الى الشعر الذي اكتسب قيمته في نفسي بقدر ما كفل لهذا الحب المحكوم عليه بالموت من حياة .. لقد تقمص الحب ثوب الشعر الذي بقي لي حين كانت محبوبتي تزف لرجل اخر ..

وهكذا ولدت كشاعر ولادة رومانتيكية برغم نشأتي الكلاسيكية الصارمة ، تلك النشأة التي ستضطر الى الاختفاء لتعاود الظهور بعد ذلك في صور اخرى .. وهكذا بدأت اتعلم من تجربتي الخاصة ان الشعر فن ذاتي يتحدث بأسرار الشاعر لا بأسرار سواه .. وانه مع ذلك قيمة اخلاقية اذ انه يهب الحياة للاشياء الحية ، واذا يبني العالم من جديد بناء لم افنق قط بان اقيمه في قصائدي فحسب .. بل كنت وما زلت اتوق الى ان يتحقق في الواقع .. ولم لا والواقع نفسه مليء بالشعر! هذا الطموح في الحقيقة هو الذي فادني احيانا للعمل السياسي. وهو الذي فتح امامي باب التمرد الذي تيسرت لي ممارسته حين دخلت مدرسة المعلمين التي كانت موجودة في عاصمة الاقليم بعيدا عن القرية والي كانت تزخر بحياة الطلبة العتيقة الشائقة ..

في هذه المرحلة الاولى من تجربتي الشعرية كانت قصائدي التي كنت احنو في كتابتها حنو الرومانتيكيين تتمرد تمردا غامضا على عالم احس انه عالم معاد وضيق ، وتمردا صريحا على النظام السياسي القديم الذي بدأت احنك به في ذلك الوقت وتصيبي منه بعض الاضطهادات. هذا على الرغم من انني فشلت في ان انخرط بصدق في اي تنظيم سياسي من التنظيمات التي كانت تعمل على تقويض النظام القديم .. واذا تغير النظام وانفض المعتكز اقتصر شعري على الشكوى من ضيق العالم والتفني بالفربة التي تاكدت حين هاجرت الى القاهرة وان كانت قد اتخذت صورة جديدة ..

\*\*\*

فوجئت بان شعري الذي تعبت حتى صار له قاموس الرومانتيكيين في اللغة ، وطريقتهم في التصوير ، وتجاربهم الاثيرة ، والذي اصيحت بعض المجالات الادبية ترحب بنشره .. فوجئت بأنه لا يعجب الشبان القاهريين ..

كانوا يقولون لي .. ما معنى :

« الهيكل المهجور ، والصمت المصمخ بالظلال »

وكانوا يقولون لي .. ان هذا البيت لا يعكس نفسك ، او هو يعكس نفسا مغلقة .. ثم ما هي الصورة التي تريدنا ان نصورها ؟  
وبقدر ما حزنت على تعب العمر بقدر ما وجدت ان ما يقولونه صحيح ، خاصة وان تجربة ايامي الاولى في القاهرة قد امدتني بمشاعر وصور اخذت تلح علي في الظهور .. وهكذا بدأت اكتب « الطريق الى السيدة » اول قصيدة لي في الشكل الجديد ، واتجه الى ما يمكن ان

يسمى بالموضوع لاختبر قدرتي على التحرر من عالمي القديم الضبابي ، وعلى الاندماج في عالم غريب ، فكتبت « مذبح القلعة » وما لبثت ان وضعت يدي على النموذج الذي ظهر في ديواني الاول « مدينة بسلا قلب » نموذج الغريب في المدينة ، خاصة بعد ان توفي والدي فاصبح احساسني بالفربة قويا وان لم يصل ابدا الى حد القنامة .. ذلك لان حيني القديم لعالم واقعي افضل عاد الى الظهور ، حين تهيات مجموعة من الظروف جعلتني اؤمن ايمانا عميقا بالاشتراكية والوحدة العربية .. لقد امدتني هذه العقيدة بالنموذج المقابل للغريب الضائع .. وهو نموذج الثوري المتيقن .. كما ساعدتني على ان اعيد النظر في ثقافتني الكلاسيكية لاستفيد منها وخاصة في تجديد قاموسي الشعري الذي خرج عن قاموس الرومانتيكيين ، فلم يعد له الا ان يطعم بالقاموس الكلاسيكي وحتى يحمي نفسه من لفة الصحف التي يتخذ بعض الشعراء فيحسبون ان الشعر الجديد لا يحتاج الى اكثر منها ..

ولكن عشوري على النموذج الثاني وان كان قد فتح لي عالما جديدا في الشعر والثقافة والتجربة بعد عالم الديوان الاول فد اوقعتني في صراع عنيف ، او هو احيا في نفسي الصراع العنيف بين ركونها الى لذة الاستشهاد التي تبدو في تجربة الغريب ، وفرحها الجامح بالثورة وملك العالم ..

صحيح ان هذين النموذجين ينبعان عن مصدر واحد هو التمرد على الواقع الكائن .. هذا التمرد الذي يظهر احيانا عن طريق قطع الصلات بين النفس وبين الواقع ، وحيانا عن طريق تأكيد هذه الصلات وتفديتها ..

وصحيح ان الفربة عندي لم تكن موقفا ثابتا او اختيارا نهائيا ، ولذلك ظل العالم الخارجي حاضرا يتراوح خلالها .. ومن هنا كسان الصراع الذي يتجنبه شعراء اخرون حين يرون انه لا حقيقة الا ما يرونه داخل نفوسهم ، وان الواقع وهم باطل ..

وقع الصراع بيني وبين العالم ، لانني بقدر ما ارى الحق في نفسي اراه فيما حولي .. وبقدر ما تكتسب الاشياء وجودها من موقعها في وجداني بقدر ما تتمتع بوجود مستقل اجد نفسي دائما مسوقا الى الاقتراب منه واستكناه سره ..

وهكذا خلال هذا التردد بين وجداني وبين العالم تتردد في شعري نغمتان رئيسيتان .. العزلة والاندماج .. النجاح والخيبة .. الهزيمة والانتصار .. العقيدة والنظام .. ويقوم الصراع بينهما ..

ومن الصداق ان اقول ان هذا الصراع في ديواني السابقين كثيرا ما كان يقوم بين قطبين منفصلين .. وهذه هي المشكلة التي احاول حلها باعادة تأمل التجربة وتحليلها لاحصل على ادراك منسجم للعالم، يحول هذا الصراع الفنائي اذا امكن القول ، الى صراع مركب يتم داخل الرؤية الواحدة بين عناصر مشتبكة ، فتميز التجربة بقوامها الحقيقي ويتحقق الانسجام الذي اعتقد انه السمة الرئيسية في شعري الاخير .. ان قضيتي الان هي ان اجعل من الغريب والثوري شخصا واحدا .. في الفكر وفي الشعر .. وكانني في ذلك اسير في الطريق التي تسير فيها الحياة نفسها .. اذ ان هذه الوحدة بين الغريب والثوري لم تتحقق كما تتحقق الان !

صدر اليوم :

## عشرة ايام هزت العالم

وصف شاهد عيان لثورة اكتوبر الروسية 1917

تأليف جون ريد - ترجمة فواز طرابلسي

منشورات دار الطليعة - بيروت - ص.ب : 1813

## تجربتي الشعرية بقلم : صلاح عبد الصبور



حديث الشاعر عن تجربته مع الشعر كحديثه عن تجربته مع الحب، كل جميلة بمذاق ، وكل قصيدة للشاعر هي غرام جديد ، يقترب منه وقد نفص عن نفسه أنفاله تجربته الغريبة ، كأنه يواجه الشعر للمرة الأولى .

هذا احساسى حين اقدم على الكتابة ، فانا رغم عشري الممتدة للشعر فارنا وكاننا زهاء عشرين عاما ، ما زلت اواجه الابداع بذات القلق والتلمس ، فاذا جادت علي الالهة بالمطلع - كما يقول فيولن - سميت حتى استمطرت الابيات التالية له ، ثم اجدني انفعل شيئا فشيئان عالم الاشياء من حولي لادخل عالم تصوراتي وانفامي ، وحين تنتهي القصيدة ابدأ في اكتشافها من جديد ، وقد اعيد انقح ، وقد اطوي الصفحات او امزفها ، ذلك حين يستيقظ في نفسي من جديد ذلك الروح الناقد الذي غاب زما عن افقي .

وذلك الروح الناقد هو خلاصة التجربة السابقة ، هو ما اكتسبته خلال العقدين من الزمان فارنا وكاننا .. اين كان مختفيا ؟ لعله يختفي حيث يختفي الحزن الغابر والسرور المنقضي والذكريات الدفينة. ولعله هو الذي يكون نظري الذاتية الشعر ، وطهوحى اليه ، ولعله هو الذي يتحكم في استقبالى لشعري ، وكل شعر .

واظنني لم ادرك ان الشعر هو طريقي الاول الا في عام ١٩٥٣ ، اما قبل تلك الفترة فقد كنت مشغولا باشياء كثيرة ، كنت احاول القصة القصيرة ، والكتابة الفلسفية على نمط محاورات افلاطون التي قرأتها في مطالع الصبا بترجمة حنا خباز وفتنت بها فتونا ، ولكن في ذلك العام تحددت رغبتى الادبية ، وارتبطت بالشعر ارتباط التابغ بالتنوع . وانا ممن يظنون - وهم فلة - ان قول الشعر جدير وحده بان يستنفد حياة بشرية توهب له وتذر من اجله . وقد وهبت الشعر حياتي منذ ذلك الامد . وجهت حتى اصير شاعرا له مذاقه الخاص ، وعالمه الخاص .

ولا اظن ابى فرطت ابدا في تقديم قرابيني للشعر . وقد يكون قد قبل بعضها فجاد علي برضوانه ، او استقل شاني احيانا اخرى فحرمني من جنته ، ولكني لم اتمهل في حجي اليه قط . وكنت اعتقد دائما ان عدة الشاعر هي رؤية شعرية حية ، ونقافة معاصرة متأملة ، او بعبارة اوضح وجدان يقظ وفكر لماح مدرب . الشاعر بحاجة الى رضا الالهيين الاسطويين ، وبونيز بوس اله البداهة والاحساس المنطلق والنشوة المجنحة ، وابولو اله الفكر والتأمل والمعرفة ، اما البداهة والنشوة فهي ظاهر القصيدة العظيمة ، ولكن تحت هذا الظاهر باطنا عميقا نافذا .

ولكي يتيقظ وجداني اسلمت نفسي للحياة ، فملمتني الشمس والسمع والنحسس ، والحزن والفرح اللذين يخلمان القلب ، ولا اظن ان تجربة من تجارب الحياة الجميلة قد فاتتني ، حتى تجارب الفية في العشق او الفناء في المطلق ، فانا اذكر في سن الثالثة عشرة ان اصابتني نزعة تمديدية طهرية ، وصلت ذات يوم صلاة بدائية استكشفت

الفاظها بنفسى حتى رايت نورالله .

وكما عرفت نور الله عرفت نور الإنكار . وجربت لذة ان يحس الانسان بوحدته وتفرده في الكون ، وقد رفعت عنه العناية ، وتولى امر نفسه بنفسه ، كأنه الريح المطلقة الخطى .

ولكي يتيقظ عقلي اسلمت نفسي لعالم الكتب ، وعودت نفسي التهم في القراءة ، وخطف المعرفة وازورارها ، فانا سائح في بحار المعرفة السبعة لا يهدأ مجدافه ولا ينطوي شراعه ، مفتون بالفلسفة ، محب للتاريخ ، مولع بالاساطير ، صديق لعلم الانسان الحديثة كعلم النفس والاجتماع والانتروبولوجيا .

والفرق بين الشاعر القديم والشاعر الحديث في رأيي ان الشاعر القديم يعتنق موهبته ، اما الشاعر الحديث فعليه حين يطمئن الى النغم في رأسه ان يصنع موهبته . وقد اعددت للشعر الى جوار ذلك كله قدر ما استطعت من المهارة اللغوية . استمدتها من قراءة القرآن والحديث ، ومن التجوال في شعرنا القديم ، ثم قلت لنفسى بعدئذ : يا نفس اكتبى ما بدا لك .

\*\*\*

ما الشعر ؟

سؤال لو عرف اجابته احدنا لقطع الطريق على القبيلة كلها . لقد ادرك الجميع حتى سادتنا العظماء من امثال شكسبير والمعري اطرافا من جوابه ، ولذلك فلن انصدي للاجابة الجامعة المانعة ، بل احكي عن الجانب الذي ادرسته .

الشعر هو صوت منفعل . انسان يتميز عن الاخرين بقسدر ما يشابه معهم . والانفعال المدرب هو عدة الشاعر . ولست احب لنفسى ولا لاحد من الشعراء ان يكون صوته مندغما ضائعا في الاصوات الاخرى . وعلة الموسيقى في الشعر ان الانفعال عندما يصل الى مداه لا بد له من التنعيم . اليس صياح الطفل حين يدخل ابوه منغوما موقعا . ولازم ما كان النثر الفني بالانفعال غنيا الى جواره بلون من الموسيقى الخفية . وليس الفرق بين الشعر والنثر الا فرقا في نوعية الموسيقى . فوموسيقى الشعر تتركز وتتواتر حتى تصيح لونا من « المصطلح » اما موسيقى النثر فهي مطلقة كاطلاقه .

وقد حاولت الشعر اول ما حاولته محاكاة للنماذج التي احببتها . وعندي قدر لا بأس به حاكيت فيه التنبي . وقدر اخر لا بأس به حاكيت فيه ابا العلاء . ثم قدر اخر حاكيت فيه بعض الشعراء المعاصرين كابراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل . ولكني رغم اعجابي بهؤلاء الاربعة توقفت فترة من الزمن لاسأل نفسي : ما الشعر ؟ وقد وجدت كلا منهم قد اجاب على جانب من سؤالي . وكان توقفي اثر قراءتي لبعض النماذج من ادب الغرب ، فقد قرأت ريلكة في ترجمة انجليزية ، وقادني الصديق بدر الديب والصديق عبد الففار مكراوي الى شعر اليون وقصص كافكا . وتبلبل خاطري . ويشتت ياسسا مطلقا من شعرنا العربي او معظمه . كنت اسائل نفسي في كثير من الاحيان عن عللة اعجابي ببعض النماذج ، واسفه لها ولعها بموسيقاها او بافكارها الدارجة واحاسيسها الشائعة . وقد طالت فترة التوقف حتى جاوزت السنيتين . وخرجت منها برتبة عارمة في المحاولة ، على ان احقق كل ما اصبو اليه . وكان ذلك في اعوام ٥٠ - ٥١ - حيث كتبت عندئذ قصائدي ( شفق زهران - هجم التنار - الملك لك ) .

وانا كثير التأمل في شأن الشعر . متعدد المواقف تجاهه . كان الشعر في مرحلة هذه القصائد هو الرؤية العميقة والاحساس الدافى . ولذلك كان ديوان « الناس في بلادي » غنيا بالانفعال . وفي المرحلة التي تلتها كنت اريد ان اقرب دور الفكر من دور الشاعر . وتمثل ذلك في ديوان « اقول لكم » . ثم حاولت ان اصل الى لون من النماذج والتراضى بين الموسيقى والطلاقة التعبيرية ، وبين الاحساس والفكرة في « احلام الفارس القديم » ولو سلئت عن مدى توفيقى في هذا الديوان لقلت انني استطعت فيه ان اصفي لغتي وانفعالي

- التتمة على الصفحة ١٩٩ -

ووجدت الانفعالات الكثيرة ، الحبيسة ، والمجهولة التي كانت تتماوج داخل رأسه الصغير ، في شعر وقوة وضخامة عنتره بن شداد - كما ينخيلها - متنفسا لها ...

ثم شعر ان هذه الشخصية ، قد أفرغت لكثرة ما عايشها ... لم تعد تعطيه احلامه ، او تشبع نزوعه ، وكان عليه ان يبحث عن عنتره آخر ، في كتاب جديد .. ووقفت عيناه على رحلة بني هلال من الشرق الى الغرب ، وتعرف على ابو زيد الهلالي سلامة ، والزناطي خليفة ، ودياب ، والاميرة الناعسة ، وكان يجد متعة لا حد لها ، وهو يشترك بخياله ، في المعارك التي خاضوها ، والمشاق التي تعرضوا لها خلال رحلتهم التاريخية ، وكثيرا ما استغرقته رؤية فارس بني هلال الاسمر ، وهو يصول ويجول منتظيا صهوة جواده ، رافعا رمحه ودروته ، منشدا في الميدان :

يقول ابو زيد الهلالي سلامة

ولا كل من ركب الحصان خيصال

ومن ثم عرف الطريق الى اشباع احتياجاته الروحية والعاطفية، وقرا حمزة البهلوان ، والاميرة ذات الهمه، وسيف بن ذي يزن ، وفيروز شاه ، والف ليلة وليلة . ولما لم يجد المزيد منها ، بدأ يتقرب من بعض الكتب الاخرى ، التي تصور انها قد تتضمن شيئا ، يبقى عليه عالمه الخاص ، الذي كان قد شاهده لنفسه .. مفامرات شيرلوك هولمز، وطرزان ، وارسين لويين ، وغيرها من روايات الجيب ، ويبدو انه قد فرأ بالضرورة حينذاك ، اعمالا ادبية عالية ، مترجمة ضمن هذه السلسلة ، مثل البعث ، وانا كارنينا ، والحرب والسلام ، والام فيرنر وفاوست ، وعادة الكاميليا ، وماجنولين ..

والحق ان اباه ، لم يكن يضمن عليه ابدا ، بشيء مما يريد ، فقط حين يتعارض ما يحب ان يقرأه ، مع ما يجب ان يقرأه ، او ان يتهدد مؤهلاته التي لا بد من توفرها فيه ، ليكون احد طلبة العلم الشريف . وكانت الحرب العالمية الثانية ، تموت اختناقا في ايدي الحلفاء، واسماء هتلر والنازية ، وموسوليني والفاشية ، وستالين والبلشفيك، وروزفلت وتشرشل والميكادو اشبه برموز والغاز ، تتحدى مداركه ومستوى فهمه ، بكل ما تنطوي عليه ، من معان ودلالات .

ماذا كانت تعني الحرب بالنسبة له ؟ لا اكثر من الخوف ، من الشيء الجهول ، من الموت .. وشهدته حواري الاسكندرية وازقتها ، وهو يتدحرج مع الهاربين الى الخنادق ، لينزوي معهم بعيدا عن نيران الطائرات المفيرة ، التي طالما روعت سكان المدينة الجميلة الهادئة ، خلال غاراتها الليلية المتواصلة ، وطالما احوالت احياءها ومبانيها ، الى خرائب وانقاض .

وانتهت الحرب .. ودخل الازهر الشريف .. ومارس انماطا من العلاقات والمعارف ، لم يكن قد الفها من قبل .. وفي زحام الفية ابن مالك ، ومشاكل النحو والاعراب ، وقضايا الفقه والشريعة ، ومجادلات الفلاسفة والتكلمين ، احس بالفربة والحزن ، يهبطان على روحه ، ويؤرقان ايامه ولياليه ..

وكتب حينذاك ، شيئا عن الحزن والفربة ، عرف فيما بعد ، انه ليس الا مقدمة الشعر .

كان هذا الشيء الذي كتبه ، وقرأه على نفسه ، صورة طبق الاصل ، لما قرأه لشعراء اخرين ، يسكنون بطون الكتب ، ويطلون عليه ، من شرفات العصور .

طرفة بن العبد ، والنايفة الزبياني ، والمهلل بن ربيعة ، وزهير ابن ابي سلمى ، وعنتره بن شداد .. لكم كان سعيدا ، وفخورا ، حين اكتشف ان فارسه وشاعره الاسطوري ، احد اولئك الذين بلغ من عظمة مواهبهم ، وسموها ان كتبت قصائدهم بماء الذهب ، وعلقت على سنائر الكعبة ، وسميت لذلك بالملقات .

وقال له احد شيوخه ، وقد لس شفقه بقراءة الشعر ، ان شعراء الملقات ، ليسوا نهاية الشعر .. هناك شعراء الصماليك ، ولا تنس ان الشعر ازداد عدوبة ، وجمالا ، بعد ان باركته حضارة الاسلام .



## تجربتي في الشعر بقلم محمد الفيتوري

اذا كان الشعر موهبة ، واذا كان مستقبل كل موهبة ، انما يتشكل وفقا لقوانين خاصة ، تفرضها مجموعة الظروف والعلاقات الاجتماعية ، والتاريخية ، المحيطة بصاحبها ، فالذي لا شك فيه ، هو ان ذلك الصبي الاسمر القصير ، الذي ما يزال يلوح في مخيلتي الان، وهو يرقل في اعوامه الاثني عشر ، كان يحمل في قلبه ، وفي عينيه ، احساسا بتفرد ما .. من المبالغة ان اتسرع الى القول ، بان كتابة الشعر كانت هدفا له .. ربما كان الشعر حينذاك ، حلمه الخيالي الفامض ، الذي لم تتحدد معالمه بعد ...

كان قد اتم حفظ القرآن الكريم كله ، عن ظهر قلب ، تاهبا لدخول الازهر الشريف ، كما تقضي رغبة والديه .. واذكر انه عانى في حفظه كثيرا .. كم من مرة نسيت ، وعوف على نسيانه اشد العقاب ، من عصا شيخه الضير السمين .. كانوا يلقونه من قدميه ، في « الفلكة » - قطعة من جريد النخل ، مشدود الى طرفها قطعة من جبل مرخاة عند الوسط بعض الشيء ، بحيث تتسع لقدمي مثله - وياخذ اثنان من انداده ، يقفان هنا وهناك ، في الضمط عليها ، حنسى تصوير قدماه بينهما ، مسطحتين فسي وضع متواز ، وتبدأ عصا الفقيه ، حركتها البندولية ، صعودا وهبوطا ، فوق ودميه ، دونما هواده ، او اشفاق لصرخانه وازاته الضعيفة المتقطعة .. ولم يكن « سيدنا » يكف عن ممارسة هذه العملية ، الا بعد ان تكون قد تعبت ذراعاه ..

ويعود الصبي الى بيته ، منكسر القلب ، متورم القدمين ، حاملا حذاءه الذي سيظل لبضعة ايام قادمة ، ضيقا عليهما ، تحت ابطيه .. وكان يفيظه كثيرا ، ان امه واباه ، لم يكونا يبديان اهل تدمر ، وهما يربانه في مثل حالته البائسة هذه ، فلقد نذراه - وهو طفلهما الوحيد - لكتاب الله الكريم ..

وفي مرحلته هذه ، استطاع ان يعثر ذات يوم ، على كتاب ثمين في مكتبة ابيه .. عثر على سيرة عنتره بن شداد .. من يكون عنتره هذا ؟ وراح يلتمهم ، بكل ما في روحه من فضول ، وجوع الى الحياة ، صفحات الجزء الاول ، ثم الجزء الثاني .. حتى اكمل بقية اجزاء الاسطورة الشعبية الرائعة ، ومنها عرف ان عنتره فارس لا يشق له غبار ، وانه عاشق لاجمل صبايا قبيلة بني عيس « عبلة » وانه ايضا - وهذا اهم - عربي اسود .. اسود مثله ! .. واعاد قراءة السيرة منذ البداية ، حتى انه ليذكر الان ، كيف استطاع عنتره ، الابن غير الشرعي ، لشداد ، ان يفرض ذاته ، وهو الشخص الضائع النسب ، ما بين الحرية والاسترقاق ، في مجتمع الجاهلية المتعصب ، الذي لا سيادة فيه ، الا للاقوى والاشرف والاغنى ، ولا حياة فيه ، للعبيد والمساكين والفقراء : ( كر يا عنتره .. ان العبد لا يحسن الكر ... كر وانت حر ) .



واعجبه من هؤلاء ، الشريف الرضى ، وتلميذه ميار الديلمي ، والمري ، وابو تمام .. ورفض الجحري ، وابا الصائغ ، وابا نواس ، وخلال قبوله ورفضه ، كان يمارس كتابة اشبائه الخاصة ، التي كان يسميها شعرا ، ويحرص على ان يضمها دفتي كتاب .. وكما خيل اليه ، انه شاعر ، خيل اليه انه عاشق ..

وكتب اكداسا هائلة ، من الصفحات ، في بكاء حبه اليناس ، وشكوى زمنه القادر ، ورتاء شبابه الفضى ، الذي زحفت عليه الشيخوخة قبل الاوان .

وكبر قليلا ، وكبرت معه اشياؤه الخاصة ، احساسه بالحزن والغربة والشعر .. وكان يزداد انطواء على نفسه ، كلما ارتطمت عيناه ، بحقيقة جديدة ، من حقائق الحياة ..

( ✕ ) .. « دائما تحاصرني عيونهم .. تتابعنني حيثما اسير .. انهم يسخرون مني .. لقد فضضت سر اللفز .. سر ماساتي .. انني قصير ، واسود ، ودميم .. »

هكذا كان يقول لنفسه ، كان يفضح نفسه فقط ، امام نفسه ، وبعد ذلك باعوام ، استطاع ان يتأوه :

فقير اجل .. ودميم دميم بلون الشتاء .. بلون الفيوم يسير فتسخر منه الوجوه وتسخر حتى وجوه الفيوم فيحبل احقادها في جنون ويحضن احزانه في وجوم ولكنه ابدا حالم وفي قلبه يقظت النجوم لقد كان اليما ، مطمونا ، الى حد الاختناق ..

ولم يكن يفوقه ، في احساسه الرهيب العمق الالم ، وقتامة الواقع ، الا شاعر واحد ، خلاق جميع الشعراء العرب ، الذين قرأ لهم فيما بعد ، شاعر واحد ، او شاعران على الاكثر .. الاول اسمه ابو القاسم الشابي ، والثاني اسمه الياس ابو شبكة .. لقد اعطاه الاول ، نموذجا كاملا ، لقدرة الشاعر الصادق ، في التعبير عن تجربة الالم ، وفلسفة الايمان بالموت ..

واذا ما استخفني عبث الناس تبسمت في اسي وجمود بسمة مرة كاني استل من الشوك ذابلات الورود بينما اعطاه الشاعر الثاني ، نموذجا رائعا ، للقدرة على قهر الموت ، والاستعلاء عليه :

وحملت تابوتي ، وسرت بمتاتي

« لا تستطيع معدتي هضم اشعار المازني والعقاد ، او حتى اسنادهما عبد الرحمن شكري .. اما مدرسة ابولو ، فلا اجد في قصائد رائدتها احمد زكي ابو شادي حاجتي .. صحيح ان لديه من الصور والاخيلة ما يشوقني .. ولكنني اجد الصورة والموسيقى ، مضافا اليهما روح الشعر ، في القصائد القليلة التي قرأتها للهمشري ، والتماني يوسف بشير ، انهما ويليها ابراهيم ناجي ، وحسن الصيرفي ، ومحمود اسماعيل ، وصالح جودت ، هم الشعراء .

وعلى صفحات الاعداد القديمة التي عثر عليها من مجلات ابولو ، والامام ، والمقطف ، واللطائف المصورة ، والمجلة الجديدة ، النقي بجبران خليل جبران ، ونسيب عريضة ، وفوزي العلوف وايليا ابومافي وميخائيل نعيمة ، ونعمة قازان ..

« ان النكهة التي احسها في فمي ، عقب قراءتي لقصائد الشعراء المهجريين ، تحيرني .. هل هي نكهة الجديد ؟ .. هل هي امتزاج الجديد الحقيقي بالقديم .. »

« التاملات الفلسفية العميقة ، لجبران على وجه الخصوص .. ان كتابه « النبي » يجعلني احس بتقارب شديد ، بين افكاره وافكار نيتشه ، في « هكذا قال زرادشت » .. ربما كان جبران اكثر انسانية ، واصفى شاعرية ايضا .. انه غريب ، وحزين ، ومكسور القلب مثلي .. صورته التي رسمها لنفسه توحى بذلك .. ما اعظم ان يكون الانسان شاعرا ورساما ، في وقت واحد .. »

وتوقف طويلا عند جبران ، في « العواصف » و « الاجنحة

( ✕ ) جميع الفقرات الموضوعة بين الاقواس ، والواردة في

هذا المقال مأخوذة من مذكراته الخاصة ..

المتكسرة » . وحين وقعت في يده قصيدته الطويلة « المواكب » فرح كالاطفال . وضماها الى صدره ، واخذ يتعديها في خشوع .. « قد يأتي اليوم ، الذي اصبح فيه شاعرا ذا فلسفة ، ووجهة نظر في الكون ، وفي الحياة مثله .. جبران ذلك النبي الصانع ، ان حبي له لا يعادله حبي لنعمة قازان »

لماذا يا ترى ؟ هل لان جبران كان مسيحا يتعاطف مع المساكين والعيبد والضعفاء ؟ وهو يحس انه واحد من هؤلاء ؟ ..

وكتب في مذكراته ايضا : « لقد عثرت اليوم على شاعر فرنسي ، اسمه بودلير ، طاش له صوابي .. قدرته غير عادية على خلق الصور ، وتجسيد الرموز ، وتكثيف الحقائق والاضواء اللامتناهية فنيا .. انه ينفذ الى ما وراء الاشكال والمظاهر .. الاروع من كل ذلك انه كان يحب جارية سوداء ، اسمها جان ديفال .. شاعر ابيض يحطم الفوارق بطريقته الخاصة .. سيان كان من اجل الجسد .. او من اجل الشعر .. ان شارل بودلير يقترب مني اكثر فآكتر ، كلما تفلقت في ديوانه « ازهار الشر » .. انني انتمني الى بودلير بصلة ما .. »

وفي عام ١٩٤٨ ، كتب اول قصائده ، انطلاقا من الخطب النفسي الذي قدر عليه ، ان يكون خطا فكريا ، فيما بعد ، وان يمضي فيه طويلا ، وان يكون اتجاهها ومسارا له ..

كتب « اني وجه ابيض » :

الآن وجهي اسود

ولان وجهك ابيض

سميتني عبدا .. !

وتنهذ مرتاحا ، لاول مرة ، فقد كان عبثا كل ما كتبه قبل ذلك ، ما نشر منه وما لم ينشر .. كل ما كتبه قبل ذلك ، كان اجهاضا لميلاد تجربته الانسانية الحقيقية ، التي يريد ان يتغنى بها ، وان يعلنها على الجميع ..

« اريد ان اكون صادقا ، مع نفسي اولا ، وان يكون ما اكتبه هو ما احسه .. غير انني اطمح الى ان اتعرف على الوجه الاخر لشفتائي .. ولا تحسبوا انني وحدي فمعي الملايين .. »

« ذات مرة التقيت في الخرطوم ، باحد مواطني ، ولم اكن قد رأيته من قبل ، وليست لي به سابق معرفة ، انا لا اذكر اسمه الان .. وحين قدمني باسمي اليه صديقي الفنان عثمان وبيع الله ، ادهشني بشورته المفاجئة ، في وجهي .. قال كلاما كثيرا ، ما تزال تظن في اذني منه هذه الكلمات :

— ما هذا الشعر الذي تكتبه يا اخي .. لقد فضحتنا .. انني اكرهك ... »

« لقد اردت بالفعل ان افصح واقفنا الاسود .. ولن اسمح لنفسي ، بتزييف هذا الواقع .. »

وكان قد اصدر ديوانه الاول « اغاني افريقيا » ..

« ان محمود امين العالم اكثرهم جدية ، واحساسا بمسؤولية الناقد .. انني احمل له قدرا كبيرا من المحبة والتقدير ، غير انني اتق تماما ، في خطا موقفه من هذا الاتجاه الشعري الجديد ، الذي تبلورت ملامحه ، في ديوانتي « اغاني افريقيا » .. هل الخطا في الموقف ، ام ان الخطا في التفسير ؟ في النظرية ام في التطبيق ؟ .. قلت له ، وانا اناقشه في مجلة الاداب : « انك لا تستطيع ان تتعمق ماساتي .. لانك لا تستطيع ان تعيش تجربتي .. »

قال لي .. « انها ماساتك الخاصة ، تسقطها على قارة بأكملها .. على افريقيا .. انك شاعر مريض .. »

قلت له : المرضي كثيرون .. وانا واحد منهم .. كلهم يعانون مثلي .. اقصد كلنا .. ثق فيما اقول . وانا اريد — في هذه الرحلة من شعري — ان اتظهر من مرضي .. من ماساتي الخاصة .. بان ابوح بها .. لقد جرؤت على ان اكسر الصدفة من الداخل ، ولذلك تجدني اغني مبتهجا بمادة حزني :

قلها لا تجبن .. لا تجبن

قلها في وجه البشرية

## خواطر حول تجربتي الشعرية

- تمة المنشور على الصفحة ٢ -

كيف يتعاقب الزمن والابد ، ويصيران واحدا في لحظة الابداع . حين نقرأ شعر ذي الرمة في حبيبته مية ، او نقرأ شعر المتنبي في طموحه وغرته ، ينقلنا الشعر هناك الى الحبيبة في كل وقت ، لا الى مية وحسب ، وينقلنا الشعر هنا الى طموح الانسان وغرته في كل وقت ، لا الى طموح المتنبي وغرته وحسب . انه ، هنا وهناك يجعل من اللحظة ابدا ، ويشيع الابد كله في لحظة واحدة .

- ٦ -

هكذا وجدني انفصل ، عفويا ، عن الماضي - تقليدا ونقدا : عن مجموعة القيم والمفاهيم والآراء التي لم تكن ترى من نراننا وشخصيتنا الا الاشكال الخارجية والقوالب ، والتي سادت مناخنا الشعري ، ووجهت شعرنا حتى احواله في العصور الاخيرة ، الى تمارين في الوزن ، او في الزخرف واللؤلؤ ، او في كل ما يجعل الحياة فقيرة ضيقة بحجم دينار الامير او الحاكم .

وقد اتاح لي هذا الانفصال ان احسن فهم الماضي وازداد ارتباطا بينابعه الحية ، وان احسن فهم نفسي ، وفهم براتنا : اتاح لي ان ارى كل شيء في ضوء جديد . فتجاوزت الماضي الى المستقبل ، والمعلوم الى المجهول ، والواقع الى الممكن وما وراءه . وفي حيا انخطافي بالمستقبل ، افتنمت الا اكتفي بالبحث عما يكمل العظيم في الماضي ، وانما يجب ، الى هذا ، ان ابحت عما يتفوق عليه . ولم اعد ممن يجدون الفردوس في الماضي ، وانما صرت ممن يرون في عظمة الماضي دليلا على ان المستقبل سيكون اكثر عظمة .

ومنذ هذه اللحظة اخذ يتضح لي معنى صلة الشاعر بترانه ، ومعنى التراث من الوجهة الابداعية : ليس الشاعر مرتبطا بمادة التراث المكتوبة ، قدر ارتباطه بما وراءها ، أي بالاعماق والنسوغ الاولى التي احتضنت تلك المادة وادت الى وجودها . فهذه المادة المكتوبة جامدة : كتب ، أفكار ، آراء .. تدخل في ثقافة الشاعر ، لا في ابداعه . فهو ابداعه ، مرتبط ، او يجب ان يرتبط ، بروح أمه ذاتها ، بينابيع حياتها ، بمثلها وتطلعاتها .. حيث البذور الاولى والاصول ، والاسرار ، والرموز - حيث الحنين والحركة والتوتب ، وحيث البراءة والصبوة ، وحيث التموج والتناقض والفراغة ، وحيث البكارة الدائمة : حيث الحياة ولانهاية الحياة ..

من يتكلم بصوت الكنب ، وانظمتها وقواعدها ، لا ينقل الينا غير الصدى الباهت للاصوات التي تركتها . لكن من يتكلم بصوت الينابيع الاصلية في اعماق شعبه ، ينقل الينا ملايين الاصوات ، ويرفع مصير كل فرد منا ، الى مستوى مصير الانسانية .

ليس صوت المتنبي صوت شخص واحد اسمه احمد . انه صوت شعب وعصر . انه رسالة . لهذا يهز المتنبي اعماق روحنا . فهو ، شأن كل شاعر عظيم ، يلامس بشعره عمقا انسانيا تختلج فيه جميع الكائنات اختلاجة واحدة ، وتقيب فيه وحدة الفرد في لقاء مع الانسانية كلها .

هكذا يقودنا الشعر ، شأن النبوة ، الى عالم يفلت من حدودنا ، وراء حدودنا . وفي هذا عظمة الشعر وامتيازه . وفي هذا يكون الشاعر صوت امته وصوت عصره : ليس المبقرى واحدا ، بل كثير . وهكذا نرى كيف ان التراث المكتوب ، مهما يكن غنيا ، لا يصح ان يكون ، بالنسبة الى المبدع ، اكثر من اساس ثقافي .. يؤكد به التجاوز والنخفي لا الانسجام والخضوع . ان رؤيا الشاعر المبدع لا تكمل القيم والقواعد وحسب ، ايا كانت ، وانما تتجاوزها . انها اغنى منها ، واشمل واسمى .

- ٧ -

كذلك تغير ، بالنسبة الي ، معنى الشعر : لم يعد وظيفة ذهنية او ايضا عاطفيا ، او جزءا من البلاغة والبيان ، او وصفا ، او طربا للمتعة او التسلية او التعزية ، او نجوى فليسية حزينة او فرحة ، او تأملات فكرية وفلسفية . صار الابداع الشعري ، لي ، وسياسة لاكتشاف نفسي ، واكتشاف الانسان والعالم . صار قائما على الرؤيا ، والنفاذ الى الجوهر ، والاشراق . صار فعالية جوهرية تنصل بوضع الانسان ومستقبله ومصيره الى المدى الاقصى . صار فعلا يقوم به الانسان بكل كيانه ، وابداعا كابداع الخالق . صار سفرا لا ينهي ، خارج الايام الجارية ، في المستقبل ، عبر اعماق الكائن وابعاده .

والشعر ، لي ، اشراق في ظلام العالم : ان حياة بلا شعر ، انما هي حياة بلا عدالة ولا حقيقة ، ولا حرية . لهذا كان الشعر نوريا ، بالضرورة والطبيعة . وهو تورة دائمة التجدد والتحول ، لانه اعادة نظر دائمة ، وفجر وامتداد فيما وراء الحدود والانظمة والقوالب . انه اشارة في الطريق الى المستقبل ، خلال غابه المشاعر والاحلام والرموز ، وبرق يضيء العالم .

- ٨ -

بدل القصيدة - الحكاية ، او القصيدة - الافكار ، او القصيدة - الزخرف ، او القصيدة - الوصف والموضوع الخارجي ، أقيم القصيدة - الدفعة الكيانية ، القصيدة - الحدس والدلالة ، القصيدة - الرؤيا . وهذه قصيدة تنمو في اتجاه الاعماق ، في سريرة الانسان ودخيلاته ، وتنمو افقيا ، في بحول العالم . وهي لا تصدر ، صدفة ، عن « مزاج » او « وحي » ، بل تصدر بدفعة واحدة ورؤيا واحدة ، وحدس واحد .

هكذا ، بدل القصيدة المغلقة ، المنطوية على نفسها ، التي لا تفسر الا بطريقة واحدة ومنظار واحد واتجاه واحد ، ابشر بالقصيدة المنفتحة الزاخرة بممكناات كثيرة تتفجر في جميع الاتجاهات . ولئن كان للقصيدة المغلقة شكل مطلق بالضرورة ، فان للقصيدة المنفتحة شكلا منفتحا بالضرورة . هكذا بالتالي : بدل الشكل الشعري الواحد ، ابشر بالشكل الكثير : سيكون لكل قصيدة في المستقبل شكلها الخاص .

القصيدة المنفتحة ذات الشكل المنفتح تتضمن مباديات تغير باستمرار مقاييسنا الشعرية والجمالية : من هنا اعراض الثبات بالتحول والمحدود باللامحدود ، والشكل المنطلق الواحد المنتهي ، بالشكل المنفتح الكثير اللانهائي ، واعلان ان الشعر تجاوز حدوده النوعية القديمة ، وصار عالما فسيحا من الاوضاع والحالات الروحية والتعبيرية فيما وراء الحد والنوع ، وفيما وراء كل قاعدة وكل تقليد .

انني ارفض المغلق المنتهي . ارفض الطرق الشعرية التي تبحث عن حلولها في الفكر ، وتخضع القصيدة لبنية العقل - لحسوده وقواعده والزاماته المنطقية .

الطريق التي ارسمها ، واحاول ان ارسخها في الشعر العربي ، حدسية ، اشراقية رؤياوية . وهي تبحث عن الحلول في فيض الحياة وغناها ، في نفجر ممكنااتها وتنوعها . وهي تتبنى الانسان بجذيمه وجنته ، بشياطينه وملائكنه ، بضعفه وقوته .. لا « الفكر » او « الايديولوجيا » او « الواقع » او « الحضارة » : تتبنى الانسان لا النظرية ، والحياة لا مقولات الحياة .

لهذا لا اعرف التوقف عند الابعاد المعروفة ، وانما اخلق باستمرار مسافات جديدة ، مالتا قصيدتي بشهوة البعد : شهوة امتلاك الاعماق والاعالي ، شهوة الفل الحيوي ، منتصرا او غير منتصرا . واشكال فصائدي اهليلجية ، لولبية ، اسطوانية ، لكي توحى بمنحنيات بحمل النفس وتمضي في حركة تتسع ولا تنفلق .. تكثر الاشياء والعالم والناس ، بحيث توحى بالدوار ، وبان اللانهاية تختبيء في حجر او شجرة .

اللامحدود ، اللانهائي : هذا مجالي ، هذا بيتي . والشعر هنا سيال ابدي المفاجآت . والاشكال الشعرية ، هنا ، بلا نموذج : كسل

شكل كاف بذاته ، نموذج ذاته . والكائنات ، هنا ، تتدافع وتتواكب في المد الخلاق ، صوب المجهول .

— ٩ —

بدءا من الواقع ، يفتتح شعري على الممكن : اغني الانسان كما يليق به ان يكون ، كما يقدر ان يكون ، او كما اراه ، لا كما هو بين جدران الواقع . الانسان واقع اكثر من الواقع ... وليس واقعه اليومي الا عتبة للدخول الى واقعه الممكن ، بل ان واقعه اليومي يصبح نوعا من السقوط ، حين تزداد الهوة بين قدراته ومنجزاته . انني من الايمان بالانسان ايمانا لانهايتا بحيث انني قد لا اري احيانا في واقعه المحدود ، بالقياس الى إمكاناته اللامحدودة ، غير السقوط والفشل واليأس .

هذا الولوج بتحقيق الممكنات يدفعني الى الحياة خارج ايام الناس العادية . وكثيرا ما احسبها عدوا ، فانسح ضدما بالشعر وفصله - الفعل الوحيد الذي تمتزج فيه الوداعة بالعداوة والتراجع بالهجوم ، وانسح باللفة وايقاعها بالهيام والحلم والهاجس ، بالواقع وما فوق الواقع . لكن لغاية واحدة : ان اخلق الواقع اللائق ، ان اخلق حالة انجاز بها التناقضات ، حيث تستيقظ طاقات الانسان للتآلف مع الطاقات الاخرى ، من اجل بناء عالم جديد ، وكل انساني واحد . وكثيرا ما اخلق هذه الحالة بفضب يوصلني حتى الى الانفكاك عن الآخر لشدة التعلق به ، والى رفضه لشدة البحث عنه واللفتة اليه . هكذا اغني صورة الواقع كما انمثلها في نفسي ، اغني صورته الابتية ، واغني التغير الذي يحمل الصورة الابتية .

من هنا ينفذ الشاعر برؤياه الى ما وراء قشرة العالم ، ويقدر ما يفوق في اعماق العالم ، يخلق ابعادا انسانية وفنية جديدة ، وترسخ في نفسه ، محل الصورة الواقعية المحددة ، صورة الواقع كإمكان ، كابداع وحركة وتكوين . ومن هنا يبقى الشاعر سسانرا في اتجاه المستقبل ، موسعا حدود ابداعه ، باحثا عن الممكن اللانهائي . وكما ان صورة الممكن تتحرك امام الشاعر في تغير مستمر ، كذلك يصح الشاعر متحركا يسير بسهولة وحرية على طريق الابداع ، ويصير وجهها لوجه في بواصل مع حركة الكون في الاغوار الخفية التي نفذني يتابع التغير .

هذا السفر الى ما وراء الواقع لا يعني هربا من الواقع . الاقتلاع هنا يخبئ حينا الى المزيد من التجذر . الهجرة هنا عتبة ثانية الى العودة والسفر اياب اخر .

انني لا ابحت عن الواقع الاخر ، لكي اغيب خارج الواقع في الخيال والحلم والرؤيا . انني استعين بالخيال والحلم والرؤيا لكي اعانق واقفي الاخر ، ولا اعانقه الا بهاجس تغيير الواقع وتغيير الحياة . فليس الواقع الذي انتطلع اليه ، القيب المنفصل التجريدي ، بل الممكن الذي يخزن لانهاية الواقع .

— ١٠ —

كل واقع نتجاوزه يوصلنا الى واقع اخر اغني واسمي . هذا البحث عن الواقع الاخر ، عن الممكنات ، هو ما يعطي للكشوف الشعرية فريدة الابداع العالي . ففي هذه الكشوف يتعانق المرئي مع اللامرئي والمعروف مع المجهول والواقع المحسوس مع الحلم . وهكذا تكتمل رؤيا الشاعر في جدلية الانا والاخر ، الشخص والتاريخ ، الذات والموضوع ، الواقع وما فوق الواقع .

والانتجاه الى الممكنات ثورة دائمة ضد التقليد والثبات . انني اطمح الى ان ابقى ثورة دائمة ضد التقليد - الثبات . اعارضه بحمي ثانية ، بهيام اخر ، بهوى مغاير . اقتلع الانسان وارميه في بوتقة الطاقة والتحول حيث لا يعود له يقين غير يقين الانسان - الكل والكون ، او دور غير ان يظل خميرة اليقظة الدائمة ، اقتلعه ، انزله في اعماقي حيث الوقد التناجج الذي تنصهر فيه قوى التاريخ وماسيه واطرافه ، وحيث لا يبقى غير النسخ الذي يحرك ويحيي . والممكنات كائنة في المستقبل . ومن هنا اعيش واكتب ماخوذا بالمستقبل . وهاجس المستقبل هاجس صيرورة واستيقاق ، هاجس تحول .. التحول وطني الشعري . والتحول يفترض الذروة والهاوية :

كل ذروة جزء من الهاوية وامتداد لها . كل هاوية جزء من الذروة وامتداد لها . الذروة والهاوية ، الماء والنار ، الرفض والقبول وجهان لحركة واحدة . والانسان جدل دائم بين حياته وموته ، بين بدايته ونهايته ، بين ما هو وما سيكون . وانا اقيم ، شعريا ، في احضان هذا الجدول المتحول شاهدا ، باحثا ، رائيا . الاسم بين شخصني وفرادتي من جهة ، وكلية حضوري الانساني من جهة ثانية ، بين الشخصي والكوني ، بين الذات والتاريخ : اريد ان اكون نفسي وغيري ، الزمان والابدية ، في آن .

غير ان المستقبل يظل مستقبلا . وانا ، كباحث عنه ، ابقى دائما قبله ، ولا استطيع ان ابلغه . ومن هنا الحسرة الخائفة : حسرة خلاق يشير الى مستقبل يعرف انه لن يدركه . كأنما يشير الى شيء يملكه يطلع من عينيه واعماقه ، الا انه يظل بعيدا ، يظل امكان حضسور سيأتي ، لكن ليس الان . وفي انتظار مجيئه ، أشعر كأنني خارج الزمن في حالة ليست زمنية ولا ابدية .

ومن هنا يحدث ان ابدو غامضا ، متناقضا ، تتعانق في كلماتي ومشاعري النار والماء ، حتى ليخيل للكثيرين ان قصائدي كأمواج البحر يمحو بمضها البعض الاخر .

— ١١ —

وقف اسلافنا عند مظاهر الطبيعة واشكالها الخارجية ، وكان هذا طبيعيا ومن حقهم . اما اليوم فان قلوب وارثهم تخفق في حين صوب الاعماق والجذور ، صوب الينابيع الاولى ، وهذا من حقهم . ولقد نقل اسلافنا بشعرهم الاشياء المرئية نقلا رائعا ، ونحن اليوم نحاول ان نكلمهم ، فننقل بشعرنا الاشياء الخفية ونجعلها مرئية واضحة .

كان الابداع لدى اسلافنا يقوم على انتقاء موضوعات في حدود الوعي الانساني العام ، تنبثق من اهتمامات الناس ومشاكلهم وافراحهم وآلامهم . وكانت حساسية الشاعر ترفعها الى مشارف روحيته ، وتضفي عليها شكلا فنيا واضحا . غير ان موضوع الابداع اليوم ، بالنسبة الي على الاقل ، ليس اليغا لدى الناس . بل ان جوهره قد يبدو غريبا عنهم او عن معظمهم ، كأنه يأتيهم من اعماق العصور او من كوكب مجهول . يطرح امامهم تجربة تصدمهم ، تفاجئهم ، تدهشهم . تتجاوز القيم المألوفة والاشكال المكرسة . تحيرهم ، وتزعزع معطيات فهمهم وحساسيتهم .

ولئن كان الابداع لدى اسلافنا لا يتجاوز الحدود الانسانية الواقعية ، فهو اليوم يقودنا الى عوالم ثانية ، الى الممكن وما وراءه ، خارج الحياة اليومية ، في مناخ من الاحلام والافراح والحسرات والشاعر والرؤى الفارقة في قرارة الروح .

في هذا ما يفسر اتصالي بالصوفية : النسب الموثق في العالم ، - حيث التجربة انبثاق كوني ، طوفان بغسل الواقع ، ويشيع الحياة والحلم في المادة ، فتصرخ الاشياء وتتأخى ، ويصير الحجر سيرير عاشقين . حيث العودة الى الواقع الاصلي الاول ، فلا يعود الانسان يشعر انه منفصل عن العالم الذي يشارك فيه ، ولا عن الاشخاص الاخرين الذين يشكلون معه كلا واحدا . بهذه العودة تمحي الحدود بين الانا والاخر ، بين الذات والموضوع ، ونفتح العالم . هكذا تؤالف الرؤيا الشعرية بين الاطراف وترد الكثرة الى الوحدة ، فتتمسج اشياء العالم ، ويتوحد اي شيء مع اي شيء : يصير الحجر ماء ، والمصفور شجرة والشجرة نهرا .

هذا كله ليس غريبا ، بفضل التصوف ، عن حياننا ولا عن تراثنا ولا عن روحنا . انه اليغ عريق تكاد نشمه مع الهواء . انه مناخ يبعدنا عن المذهبيات الضيقة ، ويرمينا في افاق النشوة والانخطاف ، افاق الانسان .

وفي هذا مقاييس لفهم الشعر والانسان تختلف عن المقاييس التي تقدمها الحضارة الغربية اجمالا . فهذه مذهبية ، منطقية ، تحليلية . اما مقاييسنا فحسية انبثاقية اشراقية .

— ١٢ —

من هنا غنائية الصيرورة والتحول التي ابشر بها واطمح الى

ان تكون ثوبية البعد والرؤيا ، تجرف التناقضات من كل نوع ، وتصهرها في بوتقة هدير واحد : الريادة التي تكتشف المجهول في حركة التحول والسيرورة - الريادة التي تضيء الحاضر والمستقبل ، وتضيء الانسان ومصيره ، الريادة التي تعبر عن طاقة الانسان الاتي ، وترسم حركته وفعله ، وتنبئ بعالم يصير شعرا : طاقة انسانية واحدة تبعد وتنحط ، وايقاعا اناسيا واحدا .

هذه الفنائية نداء يعلو عميقا آسرا ، كانه يتدافع من اطراف العالم الاربعة . انها تحيل العالم الى شبكة من الاشعاعات وقوى الخلق ، وتشعرا بالنبض الكوني الهائل . في كل قصيدة غنائية ، من هذا المستوى ، تذوق طعم المستقبل ، وطعم العظمة الانسانية . انها نواة واقعية مسكونة بالعالم الشامل ، مشحونة بطاقات تتموج كما لو انها تريد ان تبلغ تخوم اللانهاية . . كما لو انها تريد ان تعانق غيرها لتكتمل بغيرها ، ولا تكتمل الا بالكون كله .

هذا ما يعطي لهذه الفنائية نفس النبوة التي تتسامى بالناس ، حيث نعمة الانخراط ، وتهيام الجسد والروح والضوء واللغة والايقاع والشاعر ، في عالم غريب آسر جديد .

هذه الفنائية هي الواقعية الانسانية الحية المحيية ، وهي التعبير الاسمى عن تحقق الانسان ، الواحد والكل ، الكون الصغير والكون الكبير . انها تتيج لنا ان نؤلف ، فيما وراء المكان وتوازنه الهندسي ، اشكالا في الزمان وفق موجات الايقاع واطرادها .

وهي تتلاقى بالصوفية : كل قصيدة توحى بالحضور الشامل ، تجعلنا نحيا هذا التضامن مع الكل ، هذا الهيام باللانهاية ، هذا التفجر الاتي الينا من الابعاد . وفي هذا ينضج الشعر الرؤياوي المنفتح على اللانهاية في عصر رؤياي منفتح على اللانهاية .

هكذا يصير الشعر سحرا : يعني العالم ، يهز التاريخ ، يخض الايام ، يصير اصابع سحرية تلتقط الاشياء وتحولها على هواها . هكذا يتعد الشعر عن الجمود في واحات الماضي ، ويعير لها وتحولها ، وتترك الفرائيس الضائعة مكانها الى المستقبل وفرايدسه الآتية .

- ١٣ -

ربما يكمن الفموض الذي يشكو منه البعض في طبيعة هذا الاتجاه ذاته . بالاضافة الى ان طبيعة الشكل الشعري الجديد تزيد ، بالفرورة في هذا الفموض .

انني ضد الوضوح الذي يجعل من القصيدة سطحا بلا عمق . انني ، كذلك ، ضد الابهام الذي يجعل من القصيدة كهفا مغلقا . ان زهرة اكملت فتحتها تهيج ، لكنها لا تفري . الشيء الذي توضح : أي لم يعد يخفي الا الوضوح ، ولم تعد له طاقة الا طاقة الوضوح ، يفرغ من الشعر . الشعر يكون حيث العالم في مثل حياء الحجر وصمته ، جاهز ، كل لحظة ، لكي ينطلق على نفسه ، او ينقطي . العالم الشعري الحقيقي هو العالم شبه الصامت المكشوف المحجوب في آن .

ولئن كان الوضوح طبيعيا في الشعر الوصفي او القصصي او العاطفي الخالص ، لانه يهدف الى التعبير عن فكرة محددة او وضع محدد ، فان هذا الهدف لا مكان له في تجريبي . فانا لا انطلق من فكرة واضحة محددة ، بل من حالة لا اعرفها ، أنا نفسي ، معرفة دقيقة ، ذلك انني لا اخضع في تجريبي للموضوع او الفكرة او الايديولوجيا او العقل ، او المنطق . ان حدسي ، كرؤيا وفعالية وحركة ، هو الذي يوجهني وياخذ بيدي .

وانا ، في تجريبي الشعرية ، هاجس اكتشاف ، لا هاجس تزيين وتجميل . هذا يقذف بي في جميع الاتجاهات حتى الاطراف القصوى ، ويغير علاقتي باللغة : لا تعود اللغة وسيلة لاقامة العلاقات اليومية بيني وبين الاخرين ، وانما تصبح وسيلة لاقامة علاقة بين فضاء أعماقي وفضاء الابعاد الذي انطلق اليه . هكذا احيا بعيدا ، لكن بعد الافق : اليفا غريبا في آن .

وهناك اللغة ، أي الكلمة . الكلمة ، بالنسبة الى الفربي ، مجموعة متألقة من الاصوات التي تدل ، بالاصطلاح ، على واقع او شيء ما . أما الكلمة العربية فصورة صوتية حسية لاشياء الطبيعة . والعلاقة

بين معناها ولفظها تقوم اما على اقتران الصوت بالشيء ، واما على اقترانه بالحدس . فاللغة العربية تخضع في نموها ونطورها للتجاوب بين الصورة الحسية والحدس .

واللغات الاوروبية تقوم على ترابط سببي ، فهي لغات منطق واصطلاح . وعادة ، اما اللغة العربية فلغة انبثاق واشراق ، لغة بصيرة وومض وايحاء .

أشير الى هذه الخصائص في اللغة العربية ، كما نستشفها من دراسات ابن جني ، اللغوي الكبير ، لاشير الى ان لغتنا العربية ، شعرية في الدرجة الاولى ، أي شخصية الى حد كبير : نفلت من المصطلحات والتحديدات المنطقية وتنجس وتتفجر في حركة الاعماق . وفي الشعر ، في الابداع الشعري يصل غنى هذه اللغة الى اوجها ، وتصبح غابة شاسعة كثيفة من الايقاع والايحاء والتوهج لا حد لابعادها الشفافة . فتفرغ الكلمات من معانيها الموضوعية ، الموجودة مسبقا في المعاجم او على الالسنه ، وتنوع دلالاتها ، وتخزن إمكانات من المعاني ، تكثر او تقل ، بحسب سياقها ورباطها بغيرها ورباطها بالحس الشعري والرؤيا والحلم والشاعر والذاكرة والحالات الروحية المتنوعة ، وبحسب الاضارة وزواياها ، والرؤية وابعادها .

لهذا كله يقتضي فهمها درجة عالية من العمق والشفافية والحساسية وغنى الروح . . .

وانا ، فوق ذلك ، لا أعيش في زمن رياضي ، مجرد ، جامد ، ولا أعيش في الماضي . انني أعيش في مسافة عجيبة ابدية التجرد والتحول ، في هذه اللحظة - الحركة التي تنبثق خلالها مفاجات المستقبل : تتحول الاغصان الى براعم ، وينفجر الينبوع ، ونظير الاجنحة . بمعنى آخر : لكل اثر شعري بعد تاريخي . فهو متحرك لا يفهم فهما حقيقيا ، اذا نظر اليه كانه نتاج جامد معلق . وقارئ الاثر الشعري العربي الجديد ، لا يقرؤه بعين الماضي وحسب ، بل يقرؤه الى ذلك ، بروحه . وفي هذه الحالة يجرده من حركته ، من تاريخه وزمنيته ، كانما يعتبره حجرا قذفته أمامه ، ايد مجهولة . هكذا يظل منفصلا عنه ، لا يستطيع ان يتجاوب معه ، او ان يفهمه .

أضيف الى هذا كله ان من يريد ان يفهم او يقيم شيئا جديدا يختلف عن الاشياء التي عهدناها ، يجب ان يستند الى طريقة في الفهم او التقييم تكون هي كذلك جديدة ، أي تختلف عما عهدناها من طرائق .

ومن شروط الفهم ، أخيرا ، ان نتعرف بان الانسان محسود الفهم : بان المعاني كلها معلقة غير واضحة ، ما دام الانسان نفسه لم يفهم نفسه . . . ومن لا يعرف نفسه المعرفة كلها ، لن يصرف أي شيء ، المعرفة كلها . . .

- ١٤ -

أؤمن بهذا : الشعر العربي الجديد يقودنا صوب عالم جديد ، صوب انسانية جديدة بآفاق وقيم جديدة . وحياتنا اليوم يجب ان تكون في مستوى هذا الشعر : نحارب الراحة والكسل والسادة والارتخاء والاستسلام والخوف من المجهول ، ونفلت قوى النفس والخيال والحلم والمغامرة والابداع .

ولكن هذا الشعر لم يتحقق بعد بكامل ابعاده وابعاداته واشكاله ، لانه في مرحلة انتقال وتحول لا سابق لها ، شأنه في ذلك شأن الحياة العربية التي تمر في مرحلة انتقال وتحول لا سابق لها في تاريخنا كله . ان الشعر العربي الجديد في سيرورة كهذه الحياة العربية الجديدة . لكنه نسغ يفذي فينا شريان الحيوية ويتيج لنا ان نحيا بهاء المصير على هذه الارض .

- ٥١ -

هل عبرت هذه الخواطر عن بعض الجوانب في تجريبي الشعرية ، عن لحظة ماضية من لحظاتها ، عن لحظتها الحاضرة ، عن لحظتها آتية ؟ ام ان ما كتبه حين ينتظرنني ، ينتظر ادونيس الاتي ؟

انني احلام وهواجس . . . والفكرة أفقر من الهاجس ، والنظرية أضيق من الحلم . وحقيقة الشاعر تكمن في شعره أكثر مما تكمن في كلامه على الشعر . ادونيس

## تجربتي الشعرية - للبياتي

- تنمة المنشور على الصفحة ٥ -

مشكلته - جزءا من هذه المشكلة. والفنان - كما نعلم - إنما يعبر عن جوهر الكل والجزء معا . وربما لم تترك لي حياتي العاصفة التي عشتها الفرصة او لم تمنحني ذلك الحق المترقب للوقوف امام قضية الحب كجزء منفصل عن كله للتعبير عنه . وفي اشعاري يظهر مفهوم - او زاوية - اخرى للحب ، حب الام والارض والاطفال والوطن والانسان . اما الجنس فقد لا يكون مشكلة مؤرقة بالنسبة للفنان احيانا . وهنا يتخطاه الفنان فلا يجابهه او يعبر عنه منفصلا مجسدا ، وانما يتركه لكبي يتوغل ويتربسب في اعماق روحه لكي تتجسد حقيقته الانسانية الشاملة ، قوة دينامية خالقة للاشياء . وهذا ما كنت احاوله دائما .

ان بعض الكلمات لتكتسب في عيني احيانا صفات الكائن الحي ، فلا تكون مجرد كلمات مفردة ، اذ تضغط وتثوي فيها عوالم كبيرة ورؤى وذكريات حتى تصبح اشبه بالقمقم الذي حبس فيه العفريت او الجنسي الذي هو الحياة . تظل مثل هذه الكلمات تطاردني وتفرض وجودها علي بصورة طبيعية كأنها جزء من ذاتي وليست عبئا عليها . وهي احيانا رموز ومفاتيح لاشياء نسييت وماتت وترسبت في اعماق الروح ، وفسي احيان اخرى تصبح دلالات على اشياء غير موجودة في هذا العالم على الإطلاق او انني اتمني ان تكتسب هذا الوجود :

لقد خرجت من المنزل ، فبادرتني هو بالسكر  
وكل نظرة منه تخبيء وراءها مئات المنازل وحدائق الورد (١)

### عبد الوهاب البياتي

(١) البيتان لجلال الدين الرومي وهو من اعظم الشعراء المتصوفين ويهدى ايضا: جلال الدين مولوي . ولد في مدينة بلخ ، وتركها في طفولته ابان حملة المغول ، ليذهب مع والده الى آسيا الصغرى . وهناك استقر مع أسرته حتى توفي بها عام ٦٧٢ هـ ( ١٢٧٣ م ) .

### مؤلفات عميد الادب العربي

### الدكتور طه حسين

وكتابه الذي صدر حديثا

### جنة الحيوان

اطلبها من

دار العلم للملايين ص.ب. : ١٠٨٥ - بيروت

الي قديسين او صانعي معجزات . وانما هم اناس بسطاء انقياء طيبون مثل طيبة الارض وفي نقاء الجوهر ، لم يكن في مذهبهم منة على الاخرين وانما كان هذا الموت قدرا مفتوح العيون ، فقد اختاروه بانفسهم لانه الواجب وليس المصير او الهدية التي يقدمونها للاخرين . ولكنهم تحولوا في عين الاخرين الى ابطال لانهم جسدوا بموتهم الطريق الى الحرية واصبحوا رمزا اسطوريا للفداء ، لقد جمعوا كل فضائل المجتمع وجسدوا كل اماله واصبحوا الابطال النموذجيين . وهذا التصوير للموت يظهر في « النار والكلمات » وفي « سفر الفقر والثورة » و « الذي يأتي ولا يأتي » بشكل استبطان ورحلة الى اعماق نفوس هؤلاء الابطال والشهداء ، واستحضار شخصياتهم النموذجية .

كذلك كان الاحساس القديم بان الانسان انما يشبه فطره المظلم الوحيدة المنفردة تلقي مصيرها على الارض دون معونة ، كذلك الانسان الذي ترك وحيدا عاجزا ليواجه مخنة وجوده . وربما كان هذا هو نفس المفهوم الوجودي للنفي . وهناك المفهوم الثاني للنفي بمعناه الطبقي ويطله الانسان الفقير الذي ترك جانبا محروما عاريا ليواجه هذا المستوى من الحياة . وكان هناك النفي الثالث بمعنى ابعاد الانسان عن الارض النسي ولد عليها وامتدت فيها جذوره . كانت هذه المعاني الثلاثة للنفي والغربة موجودة في اشعاري ، فقد احسست منذ البداية بقربة الانسان في العالم، ثم اكتشفت غربة الفقر ومنفاه . ثم كان علي ان امر بتجربة الابعاد نفسها لسنوات طوال ومعاناة ابعادها الثلاثة معا .

ان الاحساس بالنفي والغربة لا يمكن ان يشعر به الفنان من خلال القراءة وحدها . فالشعور المتناهي يقي عند الفنان لا يكون سابقا على التجربة ولكنه نتيجة لها . فالنفي والغربة التي يشعر بها الفنان وهسو يجوب اعالم بعيدا عن ارضه ، انما تعني ان يواجه الشاعر فقدان حريته وان يواجه موته مع كل منفي جديد . ان النفي والغربة اذا ما طال بهما الامد قد يلقيان بالفنان في رحاب ارض خرافية وقد تستحيل العودة منها ابدا ، بل ان اشواق الحنين للعودة لتبدو ساذجة احيانا امام الاعماق البعيدة التي غاصت اليها روح الفنان . اذ تصيح كل خطوة غريبة جديدة في امتداد ارض الرحيل ، بل ان كل خطوة لتبدو ايقالا جديدا نحو ارض الموت التي لا عودة منها ، وقد يظل الفنان يتنفس رائحة الموت الذي هسو غربته حتى بعد عودته ، سيمثل يحمل منفاه داخله ، اذ اوقعته التجربة الخارجية في مازق المعاناة الروحية الطاحنة .

ولكن الموت والنفي لا يحدثان ولا ينتصبان فوق حياتنا دون محاولة الاجهاز عليهما ، دون التمرد ضدهما والثورة على ما يمثلانه في هذه الحياة . ولقد يمكن ان ننظر الى التمرد كحلقة اولى في العملية الثورية، بالنسبة للفرد او المجتمع ، ولكن التمرد لا يكون منطقيا ولا انساني ان لم تكمله الثورة . ان التمرد دون ثورة انما يشبه البهلوان الذي يقفز مبتعدا عن الارض ضد قانون الجاذبية ، ولكن الارض تشده اليها حتى تهدد قواه دون جدوى . والتمرد بعد ان تكتمل الثورة انما يكون تمردا ضدها ، انه الثورة المضادة ، بينما الثورة ضد الواقع القديم كانت بالنسبة الي عملية ديمومة للتمرد وتطوير له . هي عملية تتجاوز رفض الواقع السي محاولة نقويضه وبناء واقع جديد . هكذا كانت الثورة بالنسبة لي تمردا دائما حتى تكتمل ، ومن ثم تصبح الثورة دفاعا عن كيانها للمحافظة على روحها الخالقة .

وقد بنى مشكلة الوجود والحياة ، ففهمها والمحافظة عليهما وتغيير مضمونها هي المشكلة الاساسية للفنان وهنا تبرز قضية الحب - او

## تنمة صلاح عبد الصبور

وافكاري من كل فضول . وفدرت في بعض فصائدي ان ارضي الالهين  
الاسطوريين كما ازمعت في مطلع حياتي .

اما مسرحيني « مأساة الحلاج » فهي بداية خطواني في طريق  
جديد هو طريق المسرح الشعري ، وانا لا احب المسرح الا شعريا ،  
ولا يعجبني كثيرا مسرح ابسن واباعه من الناثرين . واعتقد ان مسرح  
ابسن الاجتماعي الثوري مثل « بيت الدمية » و « عدو المجتمع » وغيرهما ،  
هو مجرد انحراف في تاريخ المسرح . ولذلك حديث غير هذا الحديث .  
ما هي خلاصة تجربتي الشعرية ؟ لا ادري ، ولكني اجدني قد جربت  
اشياء كثيرة ، وخضت في بحار الرمز احيانا كما كشفت نفسي لشمس  
المباشرة احيانا اخرى . وكتبت الوانا من الشعر شبيهة بالفصحة  
والبلاد ، وحاولت الوانا من المصار في القصيدة ، ودستت الفكر  
في الموسيقى ، وجربت السخرية وعرفت طرفها الشعرية . ولكني  
ما زلت اعتمد ان هناك الكثير مما استطيعه ، وان تجربتي الشعرية  
لم تستوف تمامها بعد .

امنى ان اطلب ، ولكن ليس لدي ما افول مما ينسم بالتجرد ،  
ولو استنطردت لدستت نفسي في كل سطر . وما ذلك بحسن .  
فمعذرة ...

صلاح عبد الصبور

القاهرة

## تنمة محمد العينيوري

انا زنجي ، وابي زنجي الجد .. وامي زنجية

انا اسود .. اسود لكني املك الحرية .

قال لي : « انك نمزق القضية ، ونمزق الطبقة ، ونمزق الكتلة  
الجماهيره الواحدة ، بدعواك ان هناك قضية منفصلة للسود .. ان  
العامل الابيض ، والعمل الاسود ، ينوعان معاً تحت عبء تاريخي  
واجتماعي واحد ، هو عبء الراسمالي الابيض ، والرأسمالي الاسود ..  
عبء الاستعمار والاستقلال .. نالقضية اذن ليست قضية اسود  
وابيض ، انها قضية مستقل ومستقل ، ومستعمر ومستعمر » .  
قلت له : هذا حق .. وحق ايضا ، هذه الوراثة والخصائص  
النفسية والفسولوجية .. هذه الاحاسيس والانفعالات اللتوية التي  
انحدرت اليها مع عذابات التاريخ ...

ان بصمات عصر العبودية ، تركت اثارها على الارواح ايضا ،  
وليس فقط على الاجساد .

وعلى الرغم من كثرة التكلمين ، فقد ظل صوت محمود امين  
العالم ، اعلى الاصوات ، واعمقها في وجدانه ..

« لم تكتمل بعد اداني الشعرية ، التي ينبغي ان تكون لي ، حتى  
اواجه تجربتي الانسانية .. ولا تزال رؤيتي الخاصة العامة ، لهذا  
العالم ، باهتة بعض الشيء ، محدودة بعض الشيء ، خرساء بعض  
الشيء .. اريد ان ارى العالم بعيون حادة ، تستطيع ان ترصد  
ظواهره ، وتتفحص خلاياه ، وان تسجل كل ما فيه من تناقض وتضاد  
واختلال ...

كذلك كان يراه اولئك الذين انا منهم .. ما لم ار بحواسي  
كلها ، فانا ما زلت احرص .. « موسيقياتي الشعرية ، في صخبها  
وعنفها ، ليست شيئا منفصلا عن كياني ، فلقد ورثت ايقاعات الطبول ،  
وارتجاجات الدفوف ، ودفات النحاس .. من الذي يطلب مني ان  
اكون غير ما انا عليه ؟

منذ قرابة خمسة عشر عاما ، لم تكن في افريقيا كلها ، دولة  
واحدة مستقلة ، كانت شعوبها عظيمة نائمة ، وكنت اتصور اني اتحدث  
ليها جميعا .. للمرايا الجياح الحفاة الجامدين الذين يضطجعون

على شواطئ الانهار ، وفي الاكواخ القذرة الممتمة ، وفي المستنقعات  
الملوثة ... كيف كان يمكن ان يصل اليهم صوبي ؟

ومع ذلك فلم اكن ابدا وحدي .. هنالك سيزار ، وسنغور ،  
وديفيد ديوب ، وهم يكتبون اشعارهم باللغة الفرنسية .. سارانر  
ينحدث عنهم معجبا بشورتهم وتمردهم ونحطيمهم لتعاليد وقوانين لفسه  
المحضرة : « انهم حولوا الكلمة الاوروبية الى كلمة افريقية » !..

هل لاني اكسب باللغة العربية ، يجب ان انفصل عن تراثي .. عن  
ذاتي .. اني لا اشعر ، ولا اؤمن بوجود أي منافس بين اسلوبني  
كعربي ، ورؤيتي كافريقي .. بين موفي ونصالي .. لائن جسرا بين  
انسانين ، كلاهما منجذب الى مستقبل واحد ..

« لا ليس هنالك ادنى فارق ، بين الايقاع والشكل ، بين الرمز  
والصورة ، بين الروح والمادة ، ان العلاقة بينهما هي علاقة الظل  
بالجسد .. ولن تكون الكلمة شعرية ، وذات فعالية ، ما لم تستمد  
قوتها من اتحاد هذين العنصرين » .. الاتحاد الذي لا انفصام له ..  
ومن هنا ، فانه لا جديد وقديم في الشعر .. الجديد هو الرؤية  
الانسانية الجديدة ، لواقع الاجتماعي المتغير ..

« كم من مرة ، اكتشفت الزيف والضحالة والموت ، متخفيا وراء  
شكل جديد ، شديد اللامعان .. وراء الصورة الملففة ، والاحساس  
المنفعل ، والنغمة النشاز ، واهيانا وراء التجريه ذاتها ، ووراء  
التساعر ذاته ..

« في مفهوم النضال الانساني ، يقول لينين ، ان الثورة ليست  
لعبة .. وافول ان الشعر ليس لعبة .. تكون شاعرا او لا تكون ...  
« الوعي بحقيقة الاوضاع الاجتماعية ، وادراك المنافضات  
التي سفاعل داخل المجتمع الانساني ، والمؤثرات والعوامل التي تحرك  
التاريخ ، نفاة ضرورية ، لا بد منها للشاعر المعاصر .. انه بغيرها  
يعزل نفسه ، عن حركة الحياة ، وكثير من الشعراء ماوا ، لانهم  
ظلوا داخل قواصمهم الذاتية .. ماتوا لانهم ظلوا بعيدا عن الشمس  
والهسواء ..

والقليلون هم الذين تحققت لديهم هذه الاهداف ...

ناظم حكمت واحد من هذا القليل ..

في الترجمة الرائعة ، التي قام بها الدكتور علي سعد ، لاشعار  
ناظم ، وضعنا ايدينا بورع وخستوع ، على قلب الشاعر الانساني  
العظيم ، النابض بالحب ، والنضال ، والروعة ..

يصفو ، ويعمق ، ويزداد حدة ، ويضرب في اغوار الحيساة ،  
والتاريخ .. ويصبح شعرا حقيقيا ، وخلقنا فنيا رقيقا ، صوت المناضل  
الثوري ، كما انطلق اليها في فصائده تارانتابابو ، والكتاب ذوالغلاف  
القديم ، ورسائله الى زوجته ...

ابدا لم افرا شعرا اشتراكيا ، في مثل هذا المستوى من قبيل ،  
ولا من بعد .. «

« ليست النماذج والافكار الرجعية فقط التي ننتقدونها ونرفضها  
وندينها ، بل ايضا النماذج والافكار الدعائية ، التي يتجرد فيها  
الشعر ، من جوهر الشعر ...

« ما لم تتوفر للشعر عناصره ، فالمقالات السياسية ، المباشرة ،  
تكفي لتأدية هذا الدور ..

« في السنوات الاخيرة ، ادركتني أزمة عنيفة ، اسكتتني عن  
كتابة الشعر ، وقد عرض لها صديقي الكاتب رجاء النقاش ، في دراسة  
تفصيلية له ، سبق ان نشرتها الاداب ..

لقد بكيت وانا افروها .. كان رجاء قد لمس اوتارا حزينة في  
نفسي .. ارتكز الى بعض النقاط الصحيحة ، لازمتي الفكرية والفنية  
والنفسية حينذاك ..

« اعتقد ان الشعر يولد في الصمت ، ويموت بالصمت » ينتفس  
في الجماعة ، ويختنق بالعلزلة .. الشعر مخلوق اجتماعي لا يعيش  
في مناخ نفسي ، مليء بالثقوب والفرافات .

وفي السنوات الاخيرة ، كان لا بد لي من زلزال ، يحدث  
شرخا عميقا ، في الجدار الذي انتصب ما بين نفسي وبين الشعر ..  
ووقع الزلزال .